مشتل الدم

مشتل الدم

لا يجوز نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو نسخ مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله على أي نحو بطريقة إلكترونية أو بالتصوير أو ترجمته إلى أية لغة أخرى دون الحصول على موافقة الناشر والمؤلف مقدمًا.

All Rights Reserved. No part of this publication may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted, in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording, or otherwise, without the prior written permission of Bibliomania Ltd.

- **الكتاب: مشتل الدم**
- **المؤلف: إبراهيم النايف**
- **نوع العمل: رواية**
- **الطبعة الأولى 1440 هـ - 2019 م - القاهرة**
- **الناشر: ببلومانيا للنشر والتوزيع – مصر**

- **رقم الإيداع :** 17095 / **2019**
- **الترقيم الدولي (ISBN):** 978-977-6754-42-3
- الغلاف: إبراهيم النايف
- تنسيق وإخراج: فريق إعداد ببلومانيا
- المدير العام: جمال سليمان
- العنوان: عنوان (1): 15 شارع السباق – مول الميريلاند – مصر الجديدة
  عنوان (2): 38 شارع عمر المختار – الأميرية – القاهرة
- تليفاكس: 0020226061014
- محمول: 00201208868826 – 00201065534541 – 00201210826415
- صفحة الدار على موقع فيسبوك: https://www.facebook.com/bibliomania.eg/
- الموقع الإلكتروني: www.bbibliomania.com

كل ما ورد في هذا الكتاب من أخبار وأحداث وآراء يعبر فقط عن رأي الكاتب، ولا يعبر بالضرورة عن رأي الناشر، ودون أدنى مسؤولية على دار ببلومانيا للنشر والتوزيع

مشتل الدم

مشتل الدم

رواية

إبراهيم النايف

2019

المقدمة

كاتب هذه الرواية كان بوده أن يكتب الكثير ؛ لكنه امتنع من البوح خشية أن يعدم، خشية أن لا يبقى حيا، أن تطول فترة حكمه، أن يعيش حياته خلف الزنزانة، لذا فقد كان شغوفا بكتاب الإعدام الذي صدر بحقه ؛ لكنه لم ينفذ وتأخر لأجل غير مسمى، فاستاء كثيرا، واستشاط غضبا، وصار يكتب ما يجول بخاطره لأن تنقضي تلك المدة، عاش الموت بكل صفاته، استلذ به، استنشقه بدلا من الهواء، وقبل أن تنقضي تلك المدة أكمل روايته ، ولا زال ينتظر قرار الإعدام الذي نفذه بكل شخصية من شخصيات هذه الرواية اللعينة.

إبراهيم النايف

مشتل الدم

2019

يقال: موت الأبرار راحة لهم، وموت الأشرار راحة للعالم ... في مطلع أحد الأعوام حدثت كوارث بشرية لم تكن موجودة قبل هذا التاريخ، حيث أعلن راديو العاصمة عن انفجار ثلاث سيارات مفخخة وثلاثة أحزمة ناسفة في يوم واحد،

الأولى في شارع القراء، واثنتان في منطقة حرة، وثلاثة أخريات في مداخل الأسواق الكبيرة، لتقطف أعدادا غير قليلة من أناس جلهم من خادمي البلد الذين كانوا ينتظرون منه عكس ما حدث،

فيما أكدت أن هناك مافيات شنت عملية اعتقالات طالت جميع أمكنة العاصمة في شتى مناطقها،

شملت كلتا المنطقتين، القمرية والشمسية،

ومنذ يوم الأمس أعلنت الاستخبارات العسكرية التابعة لقيادة عمليات العاصمة عن فقدان مائة شخص، وهذا ما يثير قلق الأهالي من إشعال نار الحرب الأهلية، التي تدعوا إليها الأطراف التي لها مصالح بداخل هذا البلد،

في حين قام أهالي العاصمة بوقفة احتجاج صباح هذا اليوم أمام مجلس القيادات العليا، طالبوا فيها الحكومة بالكشف عن مصير أبنائهم، فكانت ردة فعل الحكومة بأن أمطرت عليهم وابلا من الرصاص

العشوائي الذي أسفر عن إصابة الكثير من المواطنين، بين قتيل وجريح، ليتمكنوا من زرع الرهبة وامتصاص روح الحماس الكامن بداخل هؤلاء الأهالي، وإخماد نوايا الثورة والمطالبة بالحقوق والعزوف عن أي عمل وطني ..

كان يوم مليئا بالدخان الأسود القاتم، الأسواق مقفلة، والشوارع خالية، ورائحة الجثث تطغى على روائح الهواء الطلق، ولون الدم المتغلغل إلى جزيئات أسفلت الشارع بكثافة، محولا لونه إلى الاحمرار، يوم مرعب، دامي، أغبر، نحس، اسدل الستار فيه بمأساة لا تنس،

لقد اختاروا تجار الحروب أسوأ طريقة للثراء، وعلى حساب أهون البشرية _الضعفاء_، كان بإمكانهم أن يجنوا ثروتهم من أي عمل آخر، خال من الدماء، والاجحاف، دون المتاجرة بأرواح لا ذنب لها..

الناس فقدوا الشعور بالحب ؛ لطغيان الخوف عليهم، إنهم يبكون مع كل رصاصة تطلق، فيموج بعضهم على الآخر خوفا، تخلوا عن كل أحلامهم، فأضحى أعظم حلم يملكونه هو ألا يطلق الرصاص، لأي سبب كان، ضجيج في العاصمة أكثر من أي ضجيج مضى وفوضى عظيمة تخللت في كل الأزقة والشوارع والأمكنة وخراب أعتى من أي خراب، الخوف هو عنوانها، هذه الكلمة التي قتلت الكثير بداخلنا،

الماضون وحتى القادمون، كلهم عاجزون عن إيجاد خلاف الخوف، كانوا يؤملون أنفسهم بأن يأتي السلام ليقضي عليه، لكنها أمنية فقط، وعادة لا تتحقق الأماني، إنها مجرد أكذوبة، نفتعلها لتسلية النفس كي تصر على أن تفعل، ألا تتوقف، العجز الكامن بداخل كل شخص منا، ملجأه الخوف، هما يتوسطان الروح ليكونا مخبأ تذهب إليه كلما سمعت ازيز الرصاص، أزيز الطائرات، او صوت اقدام القتلة المرهبون او أي عدو قادم ، لأن الأرواح التي اعتادت على الخوف والقلق تخاف الطمأنينة، وتعتبر التحاف الخوف ملاذا آمنا من الخوف نفسه.

انا وقلمي هنا... أكتب لكم من إحدى سجون الاستبداد البشعة الظالمة، حيث الأتربة من حولي تفوح رائحتها كلما رشف الماء داخل سطحه اللزج ولفحات الهواء الساخن صيفا، والقارس شتاء، ادون ذكرياتي في احدى اكثر الدول دموية، واعنفها حروبا، واشنعها اقتتالا، لا مفر من قدرها السيء، طالما أنك مواطن فيها ؛ فانت محط خطر، خطر عظيم وعنيف، هل سمعتم يوما بالدولة الحمائمية؟ هي دولة ساخنة، ساخنة جدا، كالجحيم، محتلة من اللصوص، عاصمتها الحمامة، تحتوي هذه الدولة على ديانتين فقط : الأولى الديانة القمرية التي تقدس القمر وهي الديانة الاقوى بالرغم من جهلها وتطرفها العنيف، والثانية

هي الديانة الشمسية المخترقة من قبل الدول التي لها مصالح داخل هذا البلد اللعين، وهذه الديانة الأضعف ولا تختلف عن أختها بالتطرف والجهل والهمجية، البلد محتل من قبل الدولة المستبدة، التي مهدت الطريق للدولة الانتهازية، فمارست الأخيرة أشد أنواع العذاب لمواطني الدولة المحتلة، بعد الإعتقالات التي تعتبر أكثر الإعتقالات دموية في تاريخ هذا البلد، تقع هذه الدولة في أقصى بلاد الدم، على مشارف النفاق والأزمات، يحدها الحرب والدمار من جميع جهاتها، إنها نهاية العالم، أبعد من أي مكان في الأرض، وكلما حاولت التقرب من حدودها، فستكون لقمة سهلة اللقم، وسيقصون لسانك، ويبترون أقدامك، ويقطعون يديك، لتكون مواطنا حمائمياً، وإلا فالقتل أو النفي، لا جدال على هذين المصيرين!

لا يمر يوم دون أن يسقط عدد غير قليل من الدم، إنها كتلة من الدم، نعم، بلاد الدم والظلم، أرضها نذير شؤم وأبناؤها لقطاء أضاعوا أمهم في حفلة دعارة، دعوا مجموعة رجال عاهرين لاغتصاب أمهم للحصول على القليل من الدريهمات، كانت تبكي وتأن، وتأن وتأن، حتى تعودت، فصارت تشبههم، ما ذنب الأم إذا كانوا أبنائها قواويد !

اكتب الآن وأنا على علم بأن رسالتي هذه لن تصل أحدا، لأنها لن تغادرني أصلا، أنا غاضب وأردت أن أشكوا بقلمي هذا، أردت أن أقتل الوقت، أردت أن أسلي نفسي وحسب، وإن وجدوا كتاباتي هذه، سيقتلونني، وهذا ما أريده للالتحاق بعائلتي، التي كانت ضحية تهور أحد المتعجرفين المستبدين، الطغاة، لقد رفعت كتاباتي إلى الله كثيرا، شكوت له ما تفعله المستبدة العظمى بنا، تضرعت وبكيت ودونت له إجرام الانتهازية، لقد شرحت له بلسان كل مظلوم، عما فعلتا تلكما اللعينتين، أنا على يقين من حتمية وصول رسائلي، سيقرأها، أرجو منه أن يعث بهما خرابا، كلتاهما، نعم، كلتاهما، حتى البريء، هو ظالم سفاح، هذا ما رأيناه من خلال إجرامهما داخل الحمامة، وتحويل عشها الباحث عن السلام إلى وكر ذئب جائع هدام، غدوا سماءها ملبدة بالدخان الكثيف التي ما أن تهدأ فاجعة إلا وقد ألحقوها بأخرى، أرجو منك يا الله أن تقرأ رسائلي بحذافيرها، فتش داخل حروفها، تمعن بكلماتها، ستجد الكثير مما لا يسرك، ستقرأ كلمات غير قليلة مما ستغضبك، وأرجو أن ترفع عنا سخطك، وتشفق علينا بالسلام، فنحن مسالمون ونبحث عن السلام الذي لاوجود له داخلنا .

أبو نعمان الحمائمي،

مذكرات من خلف القضبان

الظلم والشر توأمان

بعد سقوط العاصمة الحمامة، وبأجواء تخيم عليها روح المنافسة والصراعات، والحرب المتنازعة الطاحنة، فقدت أم ولديها، راحا ضحية تهور أحد الأحزاب الطائفية، ذنبهما أنهما لم ينتميان إلى الحزب الذي يمثل ديانتهم، كانت هذه المرأة عجوزا جميلة، رغم الألم والحزن، عمرها يناهز التاسعة والخمسين عاما، متعبة جدا، متآكلة من الداخل والخارج، تحت عينيها ندبتان سوداوان، والكثير من التجاعيد، تجري بلا عقل حاملة صورتين لشابين في مقتبل العمر تبحث عنهما، الصورة الأولى تحمل اسم اورفان، عمره 31 عاما، شاب جميل قوي البنية، طوله ما يقارب 180 سم، حنطي البشرة، أسود العينين، شعره أسود مموج متوسط الطول، وهو أعزب، فُقد قبل ما يقارب الشهر ولا أحد يعرف عنه شيئا، والصورة الأخرى تعود لابنها الأصغر، شاب بعمر 27 عاما، اسمه نيسان، فقد وهو يبحث عن أخيه، كانت هائمة بالحزن، مبعثرة، وحيدة، كان الظلم واضحا داخل بؤبؤ عينيها، الحقد مرسوم بنظراتها، الوحدة والضعف قد اجتمعتا فيها، كانت تسير ببطء وسط العاصمة الحمامة، وتصيح : من يعثر عليهما له مني مكافأة مالية قدرها

بيتي الذي لا أملك غيره، أرجوكم جدوا اورفان وخذوا روحي، جدوا نيسان ونالوا مني، اختطفوني، اسجنوني، لكن دعوهما، لا يزالا شابين جميلين، لم يرى من عمرهما شيئا، هكذا كانت نداءاتها المتبعثرة داخل شفاهها الزرقاء، غدت ملابسها متسخة، وبقايا التراب تداعب أطرافها، أضحت تفترش الأرض فراشا ومأوى، تجلس على رصيف، تارة تقف لكي يعطف عليها المارة ويؤملوها بشيء، وتارة تجلس لتسترح وتسترخي ثم تستأنف وقفتها الشاقة، حتى تغرب شمس العاصمة وتغيب فتعود لبيتها مع حلول الليل، هكذا تقضي أيامها أم اورفان منذ ما يقارب الشهر، لم ينجدها أحد، تسكن لوحدها بعد غياب ولديها، واستشهاد زوجها على يد الحكومة المخلوعة، كانت تعمل في التنظيف لإحدى المدارس القريبة من بيتها، حتى كبرا اورفان و نيسان وتخرجا من الجامعة، كانت لهما بمثابة الأب، التضحية بالنفس أقصى غاية التضحية، حولت نفسها من امرأة جميلة في مقتبل عمرها، إلى امرأة أهم إنجازاتها اليومية، جمع المال لأطفالها الأيتام، وبعد أن تكمل التنظيف تبدأ بعملها الثاني، عملها الشاق، تكد وتعمل كخبازة لإحدى المفارز الأمنية بمبلغ زهيد جدا، مع مرتبها، تجمعهما معا، من أجل ولديها، كرست حياتها لهما، ومنحتهما الكثير من عمرها ،

، الأم الأرملة ضحية الزمن الأغبر، ضحية أولادها، ضحية معركة عظيمة مع الحياة، تستمر يوميا لمدة 24 ساعة، فهي مجاهدة فاضلة للقيام على خدمة أيتامها، بلا كلل، وسلاحها التضرع بالدموع لخالقها وبارئها، تمرالأيام وأم اورفان مازالت تجري كالمجنونة، توقفت عن عملها ووظيفتها، توقفت عن الحياة تماما، وصارت حياتها فوق الأرصفة، ملتحفة الصورتين وهي تشاهد كمية الرايات والأحزاب التي تستعرض قوتها داخل العاصمة، الكل يريد إثبات نفسه، فكانت هذه المرأة وولديها ضحية هذه الأحزاب التدميرية الخرابية الهمجية، ظلت تتردد وتحاول الوصول لمن يساعدها، لكن محاولاتها باءت بالفشل، حتى جاءت اللحظة العار على تاريخ هذا البلد الدموي، حينما خرجت أم اورفان لتناشد من حولها بصوت عال، بصوت يسمعه الظالم والمظلوم، كأنها تعلم أنها راحلة لا محال، وأن هذه اللحظات هي الأخيرة بحياتها، دموع غزيرة، ووجه أصفر شاحب، ملامح أرهقها الحزن، ملامح مسحت تماما، متوترة وقلقلة، بخصلات شعرها الأبيض المنسدل على وجهها، جلست بمكانها وهي تئن أنينا مسموعا، كانت حالتها غريبة، تختلف عن سابقاتها، كانت تبكي لفترة ثم تهدأ، في هذا اليوم كان بكاؤها حارا، كأن وراءه رحلة طويلة الأمد دون اورفان

ونيسان،، ظلت تلتفت يمنى ويسرى، محتضنة الصورتين بكل شوق ولهفة وحب، كانت متكئة على عمود من الكهرباء، في إحدى أرصفة شوارع العاصمة، كان يحدثها بائع البنزين إذ قال لها : ويحك يا عمتاه، هلكتي نفسك، ارجعي إلى بيتك، وإن عادا فسيذهبان إلى بيتك، اعفي عن نفسك هذا العناء.

أجابته: بني، لا شيء يضاهي وجع الفقد، أنت تتكلم عن شيء لا تحس به، لو كنت ترى كم أنا منطفئة من الداخل! لو أنك تعي ما يعنيه الفقد للفاقد! لما لمت فاقدا عمن فقد، هو يشبه أن تكون بين مفرمة لحم، وتفرم أطرافك من الأقدام حتى الرأس، على أن تظل روحك، فتحس بوجع الألم، ينخرها ويفتتها تفتيتا، إنني أشعر بالغربة داخل بيتي، وإني لأجد راحة وسكينة على هذه الأرصفة، فأهرب من البيت إلى هنا، الم تر كم أغرق بالنوم عندما أجيء إلى هنا؟ لأن هناك ثمة أوجاع لا يسليني عنها أحد إلا حينما أسمع صوت العالم هنا، هي أوجاع أبلغ من أن تسمى أوجاعا، فأنا أتألم نيابة عن العالم جميعا، هل جربت يوما وجع الروح؟ وكم يحير به صاحبه ويهرب من نفسه؟ تتمنى حينها لو أن الألم في الرأس، في القدم، أي مكان في الجسم إلا الروح، لأن صاحب الألم يصير كفريسة تحاول أن تنازع من يريد أن يفترسها دون جدوى،

قاطعهما شخص يقود سيارة وقال لبائع البنزين: مرحبا، أريد أن أركن سيارتي هنا بقربك للحظات، سأعود بعد دقائق قليلة، أخبره البائع بأنه لا يمانع ذلك، فركن السيارة ومضى، وعادت أم اورفان تشكو لهذا الشخص ما كانت تشكوه، وعادا يتبادلان أطراف الحديث الحزينة، ثم ما أن لبثوا قليلا حتى انفجرت تلك السيارة، مع رهبة سيطرت على الشارع، كانت عيونها فزعة من هول الانفجار، كتلة من الدخان الأسود الكثيف قد ارتفعت إلى الأعلى، الكل مذهول، الناس تركض نحو الانفجار لمساعدة الجرحى، ولإسعافهم إلى المستشفيات القريبة، أم اورفان كانت على بعد عشرين متر من الانفجار، لكنها لم تسمع صوته قط، كانت مذهولة، أصيبت بشظايا بالغة، أودت بحياتها، وقبل موتها بدقائق قليلة، رأت قيامة هذا المشهد المحزن الدامي، حيث الصراخ والزحام بين الناس المتدافعة لرؤية ذويهم الملقاة جثثهم على أسفلت الشارع المنحفر، منهم من فقد، ومنهم من حملته الحمية على الضعفاء، لحظات وانتهى هذا المشهد اللا إنساني وتقرب شخص من أم اورفان التي مازالت ماسكة صورتي ولديها بنفس الشوق والحب واللهفة الممزوجة بالحسرة، كانت تلفظ أنفاسها الأخيرة، أوصته بالتلعثم

والعبارات غير المفهومة بأن يخبر ذويها وجيرانها في الحي الفلاني بأن يدونوا على شاهدة قبرها عبارة الراحلة أم اورفان، ثم فارقت الحياة...

كان خليل_ الحمائمي الجنسية _البالغ من العمر 33 عاما، طوله قرابة 178 سم، ذا بنية صلبة، حنطي أسمر البشرة، وكان ذا عينين عسليتين بارزتين، وشعره أشقر داكن، يعمل بالعاصمة برفقة أخيه، حاصل على شهادة البكالوريوس من كلية الإدارة والاقتصاد بجامعة العاصمة، مقيم بصورة مؤقتة في العاصمة، يعمل ويتاجر ويرسل لأهله كل شهر مبلغ من المال يسدون به حاجتهم، وفي ليلة ظلماء حالكة، كانت الساعة واحدة صباحا والجو ممطر، والناس نيام، وصوت البرق والرعد يتصدر كل المشاهد المخيفة في بلد محتل للتو، خرج خليل من شقته للذهاب إلى المستشفى التي تبعد عنه حوالي كيلو متر واحد ، خرج مسرعا، وهو يمشي على قدميه فقطع نصف المسافة تقريبا، سمع أنينا في الشارع لجثة ملقاة على الأرض، ارتعد خوفا، وتلاشت أفكاره، واحتار في قراره، لم يميز جنس الجثة، لم يعرف عنها شيئا إلا أنها لم تزل على قيد الحياة، قرر التقرب منها رغم خوفه من أن تكون حزاما ناسفا أو فخا لإحدى التنظيمات الدينية التي مزقت البلاد منذ سنتين، بعد سقوط الدولة ..

، تقرب من هذا الجسم الغريب وقال له : أنت حي؟ من أنت ومن الذي فعل بك هكذا ؟ .. تمتم الشخص الملقى على الأرض بلسان متلكىء وقال : سيقتلونني، أنقذني وإلا سيقتلونني، فغاب عن الوعي، رد عليه : من الذي سيقتلك؟ ماهي مشكلتك؟ أرجوك أخبرني، لم يرد عليه لأنه قد غاب عن وعيه، حمله خليل على ظهره وسار به بين الأزقات والدور والحارات الضيقة، بالدماء المتدفقة من على وجنتيه، حتى وصل إلى شقته، دخلا الشقة، وكانا ملطخين بالدماء، أجلسه خليل وبدأ بإيقاظه، كان هذا الشخص لم يزل فاقدا وعيه، وعليه آثار ضربات وطعنات بوجهه، وهناك آثار تعذيب شديد على جسده، كان يعيش في هذه الشقة خليل وأخاه، وهما من المناطق المتوسطة، أو كما تسمى بعد الاحتلال المناطق الشمسية التابعة لديانة الشمس، كان اخو خليل قد ذهب منذ يومين إلى مدينتهم، كان متزوجا ولا يستطيع المكوث لفترة طويلة، أما خليل فهو أعزب لذا فهو مقيم شبه دائم، ولا يكترث للنزول، قادته الصدفة لإنقاذ هذا الشخص المنهك والمتعب، سكب على وجه الشخص الغريب قنينة ماء حتى أصحاه من غيبوبته، فحدثه قائلا: سأطلب الإسعاف وأذهب بك إلى المستشفى، فهي قريبة من هنا لا تقلق، رد عليه قائلا: لا، لا تطلب الإسعاف، ولا تبلغ أحدا،

ضرباتي وطعناتي خفيفة، وستشفى بأخذ قسط من الراحة، والاعتناء القليل، فقال خليل له: أخبرني، من الذي فعل بك هكذا؟ فقال له: سأخبرك لاحقا لا أستطيع التكلم الآن، وقبل أن ينوي العودة إلى المستشفى مجددا، قال له: لا تتحرك سأذهب لجلب العلاج وآتيك، استحم ولبس ملابسا جديدة وعاد ثانية يسير ؛ لكنه هذه المرة حذرا وخائفا وقلقا، يفكر ما الذي يفعله مع هذه المشكلة التي حلت عليه، سار حتى وصل المستشفى، دخل إلى الطبيب المقيم، مرحبا دكتور، فرد عليه الدكتور: مرحبا، أخبرني ما بك،؟ قال خليل : لدي أنفلونزا ورشح كثير مع سعال متكرر، وصف له الطبيب وصفته، ثم ذهب إلى الصيدلي فأخذ علاجه، وأبلغ الطبيب الصيدلي أن لديه مريض في البيت قد أصيب بجروح نتيجة سقوطه من الدرج، ويريد علاجا ومسكنات آلام، ومعقم جروح، رفض الطبيب إعطاؤه أي علاج، وطلب حضوره، ألح خليل عليه وقال له: دكتور، إن الوقت متأخر الآن إذ أنه لا يستطيع السير من أثر السقوط، وبعد محاولات متكررة وإلحاح من خليل، أعطاه الدكتور علاجا وعاد بسرعة إلى الشقة، وجد الشخص صاحيا، لكنه يتألم، فنزع ثيابه، وبدأ بمداواته، مع صراخ خافت للمريض، حتى أكمل، أعطاه المسكنات، فنام وهدأت جروحه نوعا ما،

ظل خليل ساهرا وخائفا من اعتقالات العاصمة، وطائفيتها،؛ لأنها باتت مشتعلة على الصراعات، والمنافسة الشرسة بين الأحزاب، والحقد الذي زرعه المحتلون داخل أبناء الأديان على بعضهم، حيث تتعرض شقته لأكثر من مداهمة في الأسبوع، يتم فيها التحقيق معهم عن طريق مافيات غير حكومية، مافيات حزبية، مهمتها المساومة وتضييق الخناق على الشمسيين، ومثلها تفعل مع القمريين. استيقظ خليل من نومه في العاشرة صباحا، فوجد الشخص الغريب صاحيا، فقال له: صباح الخير، رد عليه : صباح النور: أخبره بما حدث، وأنه قد أنقذه، فقال له بأنه يتذكر كل شيء ويتشكر منه كثيرا. قام خليل و أعد وجبة الفطور، وقدمها أمام هذا الشخص وبدأوا بالحديث وقال : لم تخبرني باسمك بعد، عفوا، أنا خليل، ما اسمك ؟ وما هي مشكلتك؟ قال له: اسمي اورفان، ومشكلتي كبيرة، تعرضت للخطف قبل شهر من قبل الميليشيات، التي تنتمي لعصابة الغرفة الظلماء، أخذوني وأغمضوا عيناي، استجوبوني، وعرضوا علي عرضا، إما أن أوافق عليه، وإما أن يقتلوا أهلي، قال له خليل: من هم؟ وما هو عرضهم؟

قال اورفان: مجموعة من ذوي السلطة والنفوذ أمروني أن أعمل لصالحهم في تجارة المخدرات، داخل العاصمة، وأن أفشي هذه الظاهرة

في الجامعة، وفي المحلات والمدارس والحارات، نظرا لضعف الأمن وما تدر من أرباحا طائلة تفوق الخيال، فذهلت، أنا رجل من عائلة محافظة، أقسمت ألا افعلها حتى وإن أعدموني، رفضت رفضا قاطعا، وعندما رفضت جاؤوا بجثة أخي البالغ عمره 27 عاما، ورموها امامي، ظننت أنهم يخيفونني، ولن يقتلوا أحدا من أهلي، كيف لشخص أن يقتل ولا يدري لم قتل!، وما ذنبه!، هل نحن نعيش في غابة؟، فسكت وأكمل حديثه بالبكاء، قائلا : كان هو أخي الوحيد، ولم يتبق سوى أمي، أبي كان قد استشهد إبان حكم النظام السابق، قتل مظلوم، اعتقلوه، وقالوا : إنه قد مات منذ زمن، ولم يترك لأمي سوى بيت وولدين، أنا وأخي، أما أخي فقد قتل،

قال خليل : كيف استطعت الهرب منهم؟ هل عرفتهم؟ .فقال اورفان: بعدما قتلوا أخي، أصريت في داخلي أن أعمل معهم، كي أثأر لأخي ولنفسي ولبلدي، فقال خليل: تثأر لبلدك؟

قال اورفان: نعم، هم يخربون البلد، هذه هي مهمتهم، تجارة مخدرات، إثارة الفتنة بين الطوائف تصدير ذهب الشر والسلاح بطريقة غير قانونية، العمل على تشجيع الشعب على الثورات، من خلال بث لهم أقراصا تحث على الحرية والديمقراطية، والتخلي عن أفكار العقيدة

والدين والمذهب والاتجاه نحو التحرر ورفض قوانين الدولة المتزمتة، إنهم حزب كبير جدا، ومدعوم من كل الدول التي لها مصالح في دولة الحمائم، .قال خليل : إذا، لطالما أنت تعمل معهم لم فعلوا بك فعلتهم هذه ؟

رد اورفان: لم أعد أطيق العمل العبودي معهم فحاولت الهرب، فأبرحوني ضربا، هربت منهم في الليل بجروحي هذه، لقد ظنوا بأني لن أستطيع الهروب، وضعوني في الغرفة التي كنت أرقد بها طوال الشهر اللعين، وعندما أحسست بأنهم ذهبوا هربت بلا وعي، بلا إدراك، مشيت ساعة تقريبا، وبعدها سقطت على الأرض، حتى نزلت أنت علي من السماء وأنقذتني، وأنا الآن مدين لك بحياتي يا خليل، وأجهش بالبكاء...قاطعه خليل، وقال له : لا عليك، ما الذي ستفعله الآن؟ رد وعيناه مليئتان بالدموع وعلى وجهه مرسومة نظرة حقد يعتليها غضب شديد : سآخذ أمي ونسافر، لم نعد نحتمل أكثر مما حدث لنا، مات أبي، ولحقه أخي، سنرحل، أريد نسيان ما حدث وتكوين حياة جديدة، بعيدة عن هذا البلد الظالم، فما رأيته من ظلم في هذا الشهر يجعلني أجزم بأن البلد يسير نحو الهلاك، ثلة جياع تتحكم بالبلد، مستغلة نفوذها وحظوتها عند الانتهازية، صفقات خيالية، تدار بالملايين، ولا أحد قادر

على إيقافهم، بشعون، خائنون، ليس في قاموسهم كلمة وطن، قانونهم ينص على أن من لم يكن معنا فهو ضدنا، السفر هو الحل، المغادرة لا غير، قال خليل: من يقودهم؟ هل يفعلون هذه الأعمال دون أن تعرف بأعمالهم الحكومة؟ اورفان: الحكومة؟ أي حكومة؟ هم المتصرفون داخل هذا البلد، والحكومة تخضع لهم رغما عن أنفها، لأنهم مدعومون من الانتهازية والمستبدة، ولأن الحكومة ضعيفة ومهزوزة ليس بمقدورها أن تقف أمام هاتين الدولتين، فمن يديرها يشبه تماما أولئك الذين يديرون الغرفة الظلماء، لا وطن ولا انتماء،

بعد مرور ثلاثة أيام، عاد حمزة إلى شقته بعد غياب طويل غير متوقع، حمزة شقيق خليل الأكبر متزوج ولديه طفلان، يبلغ 37 عاما، يعمل أعمال حرة في التجارة ما بين العاصمة ومحافظته الكبرى اتصل بخليل وقال له: مرحبا أخي خليل، أنا في العاصمة، مسافة الطريق تفصلني عنك، ثم اغلق هاتفه، وصل إلى الشقة ودخل إليها، فتح خليل الباب ثم بدآ بالعناق مع بعضهما، مصدرين صوت قهقهه داخل ارجاء الشقة، دخلا، فقال خليل: لدينا ضيف وأود أن أعرفك عليه، رد حمزة: على الرحب والسعة، ألقى التحية على بعضهما ثم جلس حمزة، فقال خليل له: ما أخبار البلدة وأهلها؟ وما أوضاعها؟ قال له : تمام، كما هي، ثم

أخذ حمزة خليلا إلى بلكونة الشقة منفردا به، وقال : ما قصة ضيفك؟ يبدو منهكا ومتعبا!، قال خليل: وجدته قبل ثلاثة أيام ملقى على الأرض، فحملته إلى هنا، ثمة عصابة اختطفته وقتلت أخيه، لأنه رفض العمل معهم في تجارة المخدرات، قصة طويلة سأحكي لك عنها لاحقا، وفجأة، مداهمة لإحدى التنظيمات الخارجة عن القانون تقتحم المكان، وبدون أية مقدمات، بدأوا بالأسئلة، يطرحونها باحتقار وبتسلط واستعلاء، بمتعة في الحصول على مزيد من الترهيب، من أنتم ؟ من أين؟،قال خليل :أنا من مدينة الكبرى، و خليل من العاصمة، محاولا تخبئة أخيه، فقال الجندي : غير التابع للحكومة: أنتما شمسيان؟ اجابه خليل :بل نحن حمائميان، ولاؤنا لدولة الحمائم بغض النظر عن المسميات الدينية التي تتفوهون بها، فبانت على وجه آمر الجنود تجاعيد الغضب وارتفعا حاجباه المليئان بالحقد الدفين، وتصلبت أعضاؤه، فقال لحمايته: قيدوهم، وضعوهم في السيارة مع الكلاب، حاول خليل إفلات يده، فضربوه، قاوم حتى اجتمعوا ثلاثة أشخاص عليه، وضربوه، في هذه اللحظة انتفض حمزة، وكان بقربه سوط من حديد، بسرعة شديدة التركيز التقطه، فضرب أحد الأشخاص الذين التفوا على خليل، حتى تناثر مخه، وتلاشت دماؤه في أرجاء الغرفة، أطلقوا

النار على حمزة وقتلوه، مع صرخات عالية جدا، بنبرات ضعيفة لا حيلة لها من قبل خليل، أطلقوا ما يقارب عشر رصاصات في شتى أعضاء جسده، وضربوا خليلا حتى فقد وعيه، واعتقلاه بصحبة اورفان، وتركوا جثة حمزة بدمائها المتدفق من كل جسمه مع نظرات تحسر على مصير أخيه الأصغر الذي أصبح فريسة بيد من لا يرحم، فمات متحسرا على أخيه وعلى أهله الذين لم تزل رائحتهم معلقة بجسده،

بعد ثمان ساعات، وجد خليل نفسه هو واورفان في سجن مخيف، لكنه ليس حكوميا، وهذا ما أثار قلقهما، سجن مليء بالأتربة، الأوساخ، المحظورات، يجتمع فيه حوالي عشرون شخص، من مختلف الطوائف، غالبيتهم من الطائفة الشمسية، بعضهم بريء، والبعض الآخر مجرم، يجتمعون على طاولة واحدة، طاولة يأكل القوي فيها الضعيف، نادى عليهم كبير السجن، وقال لهما: تعالا واجلسا بجانبي، وحدثاني عما حدث لكما، رفض خليل وقال: إذا كنت تريد الحديث معنا، فتستطيع المجيء والتحدث إلينا بنفسك، لن نأتي، قهقه الرجل وقام من مكانه واتجه إليهم بالتبسم حاملا بيده مسبحة وقال: يا ولدي، كبرياؤك هذا يعجبني، أرجو ألا يوقعك بمأزق يوما ما، كان رجلا في نهاية العقد الخامس من عمره، وصل إليهم ثم جلس بجانبهما، وأمر أصحابه بأن

يأتوا إليه بثلاثة أكواب من الشاي. وقدم نفسه لهما، وقال :معكما الزعيم عبدالوهاب وكنيتي أبو نعمان، مسؤول هذا السجن داخليا، أما خارجيا فنحن متساوون، كلنا سجناء بعين الجندي، وزعامتي هنا ليس إلا، تعدل اورفان وقال :أرجوك، أخبرنا، أين نحن؟ من هؤلاء؟ ما غايتهم في اعتقالنا؟ تبسم الرجل البشوش ذو الشارب العريض والمليء بكثافة الشعر وقال : هذه جماعة عبدالقدوس، أو كما تسمى، جماعة الزعيم عبدالقدوس،

انبهر اورفان عند سماعه بهذا الاسم، وقال : وهل قدوس هذا يعرفنا أم إننا مجرد ضحية؟

قال أبو نعمان: لا، لا يعرفكم، عصابته تعتقل كل من لم ينتم لها، وكل من كان ولاءه للوطن، تعتقل الكاتب والصحفي والجندي، تعتقل كل وطني، يريد هذا الطاغية أن يسيطر على الدولة، متجبر، وهو سيد أسياد الغرفة الظلماء التي تدير شؤون هذه البلاد بالخفاء وبتكتم، غايتها قتل أكثر عدد من الحمائميين بغض النظر عن دينهم أو ألوانهم، وإشعال نار الفتنة والتفرقة بين أبناء الشعب الواحد، تحت مسميات لم تكن موجودة قبل الاحتلال، أنا وأنتم وهؤلاء السجناء وآلاف من الحمائميين قد وقعنا ضحية هذا المجرم السفاح، فئة نتنة إذا ما استمرت فأنها ستقود

دولة الحمائم إلى الجحيم، ستقوده إلى أعمق من الهاوية، بل ستبعث به إلى دون القاع، قال له خليل : ما الذي جاء بك إلى هنا؟ يبدو أن هذا المكان لا يليق بالأشخاص الذين هم مثلك ..تبسم الرجل بسمة حزينة، تحمل الكثير من المعنى وقال: كنت واحدا من رجال هذه الغرفة اللعينة، لم أكن أدري أنهم يحولون الوطن إلى لعبة، يغيرون شكله حسب رأيهم، كنت من أغنى التجار في العاصمة وجاءني يوما رجل يدعى عبدالقدوس، وعرض علي أن أنضم لغرفتهم، قال : إنهم مجموعة من رجال الأعمال يديرون أعمال وتجارة الدولة نحو الأفضل بالاستثمارات والسيطرة على السوق من خلال إدارة الأموال فيها إلى ما يصب بصالح الدولة، وعندما انضممت رأيت شيئا مغايرا، رأيت فسادا، وتوقيعات على قتل الأبرياء وصفقات لتجارة المخدرات، وأشياء لا يعقله العقل البشري، الجميع يعمل ضد البلد، لا يوجد أحد معه، الكل يريد أن يأكل منه، كأنهم وحوش تكالبت عليه، المحزن في ذلك أن الغرفة جميعها تؤيد قرار عبدالقدوس الذي يصدر بدهاء وخبث، فهو متنكر دائما، ويعمل لجهات خارجية، لا يعترف بأي جهة داخلية أبدا، مؤيدوه متعصبون بالخفاء ، حالهم حال مؤيدي السفاح أبان حكمه قبل السقوط وغيرهم ممن يكن ولاءهم حزبي لا وطني، فكانت كل

القرارات لا تعجبني، أخلفوا بكل الوعود التي قالوها لي، وعندما أردت الانسحاب رفضوا وزعموا بأنهم سيقتلونني، لكني أصريت على مغادرة تلك الغرفة والسفر خارج البلد، فأكملت كل إجراءاتي وفي ليلة سوداء مغبرة وحزينة لم أنسها بحياتي، هجموا على بيتي وقتلوا زوجتي وأبنائي الثلاثة وابنتي، أطلقوا عليهم الرصاص أمام عيني، قيدوني بسلاسل ثم قتلوهم واحدا تلو الآخر أمام عينيّ، صرخت وبكيت وتنازلت وتعهدت بالولاء لهم إذا تركوا عائلتي لكنهم قالوا أن الأوان قد فات، عذبوا عائلتي أمامي ثم اعتقلوني، وجاؤوا بي إلى زعيمهم الملعون عبدالقدوس وقال لي وسيجارته الكبيرة بيده وضحكته تتعالى في أرجاء الغرفة المظلمة: من لم يقف معي، فهو ضدي ولتصبح عبرة للخائنين ثم حكم علي بالسجن، لقد دمروني وصادروا أموالي وأعادوني إلى الصفر كما لو أني لم أكن. فجأة فتحت أقفال السجن وصوت سلاسل قوية وإذا بحارس السجن ينادي،:هلموا وأخذوا عشاءكم، التفتوا إليه جميعا وقال أبو نعمان لجماعته: آتوا عشاءنا إلينا، فجلبوا له العشاء الذي كان عبارة عن شوربة من العدس، وقطعة خبز واحدة لكل شخص وصحن من التمن، أكملوا عشاءهم، ثم اغتسلوا فاستأنفوا كلامهم، وأسئلتهم لأبي نعمان، إذ قال اورفان: ما روتين

السجن؟،قال : في الليل ننام أغلب الأحيان ؛ لأن في النهار يكبلون أيدينا ويأخذوننا لنحرس خطوط الذهب اللزج على الرغم من خطورتها، فالمستبدة تبحث عمن يحرس وينهب لتعاقبه، لتبقي الكعكة لها، ودول الجوار أيضا، لذلك فهم يضعوننا ككبش فداء، نحاسب من يسرق من المواطنين، وكل هذه الواردات تذهب لصالح قدوس ومشروعه الكبير،

قال خليل: هل توجد أيام استراحة؟ رد أبو نعمان: بلى، يومي الجمعة والسبت لا نذهب، فبتلكما اليومين، يتم تجهيز وتصدير الذهب اللزج بأضعاف الأيام السابقة، وبالتالي فهم لا يحتاجوننا؛ لأنهم يخشون أن نهرب مستغلين كثرة الباعة، منذ متى وأنت هنا يا عم، قالها خليل.

أجاب أبو نعمان: منذ ستة أشهر، قال اورفان : ألم تفكر بالهرب؟ أجابه أبو نعمان : بلى، فكرت، لكن الفكرة دون التنفيذ لا تجدي نفعا، يا بني ..قالا له: إن مشكلتنا تشبه مشكلتك تماما، انقلبت حياتنا رأسا على عقب، دون إرادتنا،

قال لهما: لم تخبراني إلى الآن ما الذي جاء بكما إلى هنا؟!قال اورفان : مثلك، أرغموني على العمل معهم بتجارة الممنوع، ورفضت، فقتلوا أخي، ورفضت، عذبوني، رفضت، حتى تمكنت من الهرب ملطخا

بدمائي، مستلقيا على إحدى الأرصفة في شوارع العاصمة، عثر علي خليل، فأسعفني وخبأني في بيته، وبعد مدة من الزمن، داهموا مكاننا مجموعة فاسدة تتعاطى المخدرات، طائفية بكل ما تحمله الكلمة من معنى، فحدث بينهم وبين خليل شجارا قويا، وكان أخو خليل واقفا بقرب أخيه، فحملته الحمية على أخيه المظلوم، فأقدم مسرعا إلى سوط من حديد، ضرب به أحد جنود هذه المجموعة، ليلقى مصرعه، ليكملوا الباقون ما بدأوه، أطلقوا الرصاص على أخيه وأردوه قتيلا، لقد سببت المشاكل لخليل، قاطعه خليل، وقال: لا، حتى لو لم تكن أنت موجودا، لحدث ذلك، كانوا يأتون إلى مضجعنا، بين الحين والآخر، يهينون كل من فيه، وأحيانا أخرى يبتزوننا ويساومونا على حياتنا، إنهم يرون بنا السفاح، يريدون أن يعاقبوننا على سنين حكمه، هم حاقدون، لا يعلمون بأننا مثلهم، سلب حقنا لسنين، ونأمل بالقادم، لكن بعد ما حدث، لن ننتظر منهم شيئا أبدا لا دخل لك أنت، كلنا مظلومون ما نفكر به الآن ليس العويل والبكاء على ما مضى، لا، هذه صفات النساء، هدفنا في الحياة الآن هو إيقاف قدوس وجماعته، ثم وجه سؤالا لأبي نعمان قائلا : هل يمكنك أن تتحدث لنا عن تلك الغرفة وأعضاءها؟ قال أبو نعمان: لا تستعجل يا ولدي، لكل حادث حديث، كان اورفان

كثير الكتابة والتدوين، فطلب من أبي نعمان أن يجلب له دفترا وقلما، ليدون أفكاره ويومياته فرد عليه أبو نعمان بكل بلاغة وحنكة : القلم يقتل صاحبه أحيانا، وجل ما أخشاه أن يقتلك قلمك ذات يوم، أن هذا المكان غير صالح للعيش، فكيف بالكتابة؟، دع عنك هذه الأمور يا بني، ودعنا نفكر في كيفية التخلص من هذا المكان القذر، قال خليل: ماذا لو هربت؟ ما الذي ستفعله؟ قال: بالتأكيد سأنتقم من قدوس اللعين وغرفته الظالمة، كان مهزوما بداخله لكنه حكيم بآرائه وجريء قتلوه حيا، فقد كل شيء بليلة وضحاها، فبرغم كل ما حدث له إلا أنه ظل صامدا، حاول الهرب عدة مرات لكنه فشل دون أن يحسوا به، كلمته مسموعة حتى عند أعدائه، في صباح اليوم التالي. استيقظوا على صوت جرس عال ومزعج، كان يوقظ السجناء جميعا كي يبدأوا بالاستعداد للذهاب لحماية الخطوط، وبعد ما أكملا إراءات الغسيل والافطار، ركبوا بسيارات طويلة وكبيرة " شاحنات" واتجهوا بهم إلى مكان الخطوط في صحراء المدن البعيدة، كانا ملاصقين لأبي نعمان، لا يفارقانه، أحسا بعدم الأمان إلا معه، حتى وصلوا إلى الصحراء القاحلة البعيدة، المنقطعة عن عالم الحضر والقرى تماما، بدخانها الكثيف المرتفع

إلى أفق السماء، وبشمسها الساطعة وحشراتها الغير معدودة، ورمالها المتحركة،

استقلوا خيمة فجلسوا بها، فصاروا يتناوبون على تعديل وحفر أطراف مجرى الخط الأرضي

إنهم ومن معهم يبذلون جهدا ذهنيا وبدنيا مضاعفا، كي يصرفوا أذهانهم عن التفكير، أصيب اورفان بلعنة الهوس وتحليل التفاصيل، وتجزئتها، خليل كان أقوى منه، ربما لأن اورفان مصاب بالعقدة النفسية التي لازمته منذ صغره، فحين توفى والده أُصيب بالاكتئاب، الذي جعل منه شخصا معزولا، عالقا بالتفكير، لا يؤمن بشخص او فترة رخاء، إلا ويوضع لهما جانبا سلبيا، يخاف حدوثه، كان يتوقع الشر قبل حدوثه، أبو نعمان كان شارد الذهن، بنظرات متأرجحة، مرة إلى خليل وتحليله، وأخرى إلى اورفان وتفسيره، لقد عرف ما بهم من أوجاع، كان يحكي لهما قصصا وأقاويلا لئلا ينهارا، وعدهم بالخلاص من هذا السجن، وإنهم سيجدون مهربا، حل الليل وعادوا إلى قبوهم وسجنهم المخيف،

كان في كل يوم اثنين يأخذون سجينا، فيأخذون أعضاءه الداخلية للمتاجرة بهن، في سوق الأعضاء

أبو نعمان لم يخبرهما عن هذه الفقرة كي لا يخافا، حيث جاءت لجنة مكونة من جزارين اثنين، وحسب إحتياجهما يتم القتل، أحيانا شخص واحد، وأحيانا أكثر من شخص، صاحا على اسمين فقاما، بدآ بالارتجاف والتعرق، أحدهما صار يبكي بحرقة، رغم كبر سنه إلا أنه فقد السيطرة على نفسه، ظل يبكي وجمد في مكانه، عكس صديقه الذي تقبل الحكم رغم اصفرار وجهه، وشحوبه، خرج إليهم، وظل ذاك الأول في مكانه، دخلا الجزاران فأطلقا عليه الرصاص فهجد، ثم جراه خارج السجن، موقف جعل اورفان يختبىء داخل لحافه، بالتعويذات، والتغريدات، الأمر ذاته لدى خليل، أجلسهما أبو نعمان وقال لهما: هذه فقرة لعينة، خبأتها عنكما كي لا تخافا، لا يرهبونكم، لن يقتربوا منا،

أنا ومن ينتمي إلي خارج هذه الفقرة، قال له خليل وهو مذعور مما رآه : لماذا الأشرار اقوى من الأبرار ؟ اجابه: تفكيرك مثلما يكون تفكير عدوك هذا ما يسمى بالسباق الأخطر؛ لأن قوتين غير متساويتين تحدثان انفجار، هذا الانفجار سيؤذي الاثنين، الناجي منهما الأكثر دناءة وتملق، الأكثر شر وسفه، الأبرار لا وجود لهم أساسا، هؤلاء وكل الأشرار سينتصرون دائما، حتى وإن خسروا فخسارتهم بمثابة الانتصار، الأشرار يرهقون عدوهم حتى وإن انتصر عليهم، عليك أن

تدرك يا ولدي قاعدة من قواعد الأرض الثابتة، التي محال أن تتغير، أن العالم مبني على اساس القوة والجبروت منذ بزوغ فجر التاريخ، كل المعارك التي حدثت كان للأشرار ورقة الانتصار فيها، وللأبرار الضعفاء الخسارة والتشرد والضياع، إننا وإياهم مثل قطيع من الغزلان حينما يجتاحها قطيع من الذئاب، الباحثة عن الطعام على سبيل حياتهن، كان بإمكان الذئاب أن يجدن سبلا كثر للأكل على أن يعترضوا حياة هؤلاء الأبرار من الحيوانات، خلاصة قولي يا ولدي : الأرض غير عادلة، وتعطى الأمور لمن هو أقل جهدا، لمن هو أكثر شرا، أكثر بطشا، على حساب الأكثر جهدا وشقاء، استلقى خليل بمكانه، كان يشعر بالتعب، لما عانوه من لفح الهواء الشتوي البارد بتلك الصحراء البعيدة، وكذلك اورفان، فظل أبو نعمان الذي لم ينم، كان يحدث نفسه قائلا : لم يكن مجيئهم إلا ليساعداني على إكمال دائرة الهرب والانتقام، الأمر أبو نعمان اثنين من أهل السجن أن ينظفوا آثار الدماء التي سالت على الأرض وانتهت حلقة من حلقات الرعب اليومي

... بعد مرور شهرين

الصفقات التي كانت تدار من تلك الغرفة، لم تزل على حالها، عبد القدوس يحضر بموكبه المعتاد، موكب فخم، حراسه يصل عددهم إلى

عشرين شخص، منكرين بأزياء غريبة تختلف عن أقرانهم، كانوا جبارين ومتسلطين، يرمون الرصاص على كل من اعترضهم في الطريق ولو بالخطأ،

وصل قدوس إلى تلك الغرفة اللعينة كما أطلق عليها أبو نعمان، فاستقبلوه كأنهم عبيدا، رغم أنهم أعضاء في تلك الغرفة، جلس في مكانه ثم بدأوا بالوفود حتى اكتمل العدد، ستة كراس للأعضاء، يتصدرها كرسي فخم لقدوس وخلفه يقف شاب في العشرينيات من عمره قوي البنية، يحمل مسدسا ورشاشا، فخطب بهم قدوس كعادته في كل يوم أحد من كل أسبوع، وأحيانا تكون هناك جلسة طارئة في يوم الخميس، بدأ قدوس بالتكلم عن المثالية، وضرورة النظر إلى الأسباب التي جعلت البلد ملتهبا، وأن عليهم أن يجلعوا البلد في مقدمة الشعوب، وهذا الأمر لن يحدث إلا إذا تمت الإطاحة بهذا النظام والتكلم بالديمقراطية التي تجعل للشعب حريته، والاقتصاص من رؤساء الهرم في المذهبين الحاكمين إذا لم يتبعوا سلطته ونفوذه، حيث قال: كما أسلفنا في خطبنا السابقة، البلد يمشي نحو الهاوية، إذا لم نسيطر عليه فسنفقده إلى الأبد، هذه فرصتنا الموعودة، المنتظرة منذ عشر سنوات، خطتي هي خطة طويلة الأمد، تعتمد على مدى تأثيركم أنتم

داخل المحافظات الكبرى، أريد في نهاية كل أسبوع وإرداته من مال، وأخبار بالتفصيل الممل، هكذا الجهات العليا يريدون منا.. رفع يده محمود بهشراني وأراد التكلم، فأذن له قدوس، فتنحنح، وقال: صفقة المخدرات حصلت عليها بـ 10 مليون دولار، بأرباح تصل للضعف، رأس مالي الآن ثلاثة مليون، والبضاعة ستأتي يوم الثلاثاء وهم ينتظرون رهن إشارتي، كما أننا لا نريد نفور الزبائن وفقد ثقتهم بنا، لذا سآخذ من صندوق الغرفة المبلغ المتبقي، حتى يصلني في الوقت المحدد بدون تأخير، رد قدوس: بهشراني، أنت تعمل بجد، وأنا لا اشكر أحدا في حياتي أبدا، أثق بك كثيرا، خذ ما يناسبك واجلب تلك المهدئات، فالشعب بحاجة إليها كثيرا، فرفعا كأسا خمرهما وهما يقهقهان بالضحك وإظهار العلو والسطوة والتجبر..

قدوس كان يثق فيهم جميعا، أما زياني فكان يعتبره بمثابة الأخ، تفكيرهما متشابه جدا، خططهما، عبقريتهما، وكلاهما خريجو سجون، وأبناء شوارع بالأصل، قال قدوس له: ما جديدك للأعضاء يا سيد رضا؟ اطلعنا، قال له رضا: ما يسرك يا زعيم، فرد عليه: هات ما عندك إذا، فقال السيد: تعاقدت مع ثلاثين شابا، بدأت أعطيهم مرتبا شهريا قدره 200$ دولار، أناس فقراء، لم يصدقوا مجيئي إليهم،

وقد عرضت عليهم هذا المبلغ فوافقوا على الفور ولم يترددوا، حتى لو طلبوا مني أكثر لفعلت؛

يقودونهم أربعة أشخاص، مهمتهم هي زعزعة الأمن في كلتا المنطقتين الشمسية والقمرية، شنوا حملة اغتيالات واسعة، في اليومين السابقين نفذوا البارحة عملية في المدينة (القمحية) لشيخ معبد، طلبنا منه أن ينتقد ويسخر من الحكومة، رفض، فقتلناه قال قدوس: ما الجديد في الكبرى والحمرية ؟قال له: الأمور تجري مثلما نخطط له، إقحام الشرطة والمعارضين ببعضهم وشب النار بينهما،

أرسلنا لجماعة الصحراء مبلغ مليون دولار، وسيصلنا من دول الجوار دعم بقيمة 200 مليون دولار ، سنرسل حينها مائة مليون، في الأسبوع القادم، قدوس : ممتاز، الآن أريد منك أن تكد على السجناء وتعتقل من الشوارع أكثر وأكثر، نريد أن نستحوذ على أكثر عدد من واردات الذهب، بقي لدينا السيطرة على المناطق الشمسية كافة، العاصمة كذلك. وسنشرح في اللقاء القادم بالتفصيل عما سأشرعه لكم في تلك المناطق، فهي تحتاج إلى حرب كي نسيطر عليها تماما

التفت قدوس إلى عباس الطالوت، مسؤول الإجرام والتنفيذ داخل الغرفة الظلماء،

وقال له: تبدو جائعا يا طالوت؟

رد عليه: أنا لا اشبع يا زعيم، قل لي، ألديك وجبة لي ؟

قهقه قدوس وقال: أتعلم أنك أكثر شخص في الغرفة استمتاعا ؟

إنك تزهق الأراوح بطريقة مسلية جدا، تجعل مني أنا شخصيا ينتابني شعور بالرغبة لحضور مراسيم قتلك لإحدى الفرائس، فتبسما، وأعطاه ورقة تحوي على عدد من الأسماء، قال له: تخلص منهم: والاسم الذي تحته خط أحمر، اجلبه إلي لأرى افتراسك.

قال طالوت: حسنا يا زعيم، غدا سأقتص منهم جميعا

الباشاوي كان أديبا، ودكتورا جامعيا، وملياردير، هو أيضا، أقحم نفسه في هذا المأزق الكبير، لا يرضى له ما يحدث، لكنه يخاف من عقوبة قدوس، كان يكره قدوسا كثيرا، لكنه يجامله، خوفا على عائلته وعلى نفسه وماله، تحدثا وقال له: باشاوي تبدو هادئا أكثر من اللازم،! ما خطبك؟

قال باشاوي : لا يا زعيم، لكن مسؤوليتي التفكير وابداء الرأي، لذلك فأني أستمع لكم ؛ لأتخذ القرار الأصح قال قدوس :أحسنت باشاوي، ما رأيك بمشروع الجمارك والمخدرات في حال غاب بهشراني؟، ارتبك باشاوي ورد بنبرات خافتة وقال: أي كمارك يا زعيم ؟

قال قدوس: أريد أن أكلفك بالجمارك داخل المدن، في مدخل كل مدينة تأخذ جمرك من السيارات الكبيرة القادمة من المدن الأخرى،

وكيف آخذ إذا كانت مجمركة قبل دخولها للبلاد؟

رد بغضب وبصوت مرتفع يسوده الخبث: باشاوي، نحن مهمتنا داخل البلد وليس خارجه، لا شأن لنا بخارجه، متى عليك فهم ذلك! من اليوم وصاعدا سيتم تكلفيك بهذه العملية، احصل على الجمرك من باعة الخضراوات ومن باعة المواد المنزلية والمواد الغذائية ومن بائعي الكحول ومن بائعي الأغنام والأبقار، ليس مهما ممن تأخذ، المهم هو أن تأخذ وحسب،

حسنا، سأفعل يا زعيم، سمعا وطاعة، لكن ماذا لو رفضوا ؟

بدأ صبر قدوس ينفذ، أوقد سيجارته، وتناول رشفة من كأسه المعتق الأصلي وأجاب بصوت أعلى : اقتلهم، ابتزهم، اسجنهم، عذبهم، لا يهمني، المهم هو إيقاف عجلة التجارة، وزيادة تذمر المواطن الحمائمي على حكومته،نريد إسقاط هذا البلد وتحويله إلى دمية، كي نستطيع أن نلعب به كيفما نشاء، هل فكرت يا باشاوي كمية الأرباح التي ستجنيها أنت وعائلتك ؟ ها، أتحلم بأن تصبح مليونيرا؟

يا باشاوي خذ بنصيحتي: عش مليارديرا وإلا سوف تؤكل كما تأكل الذئاب فطائسها، هل فهمت الآن ؟

رد باشاوي بتوتر وقلق يشوبهما تعرق على جبينه واحمرار وجهه: لابأس يا زعيم، فهمت، سأباشر بعملي ومهمتي الجديدة، لا عليك، سأرضيك يا زعيم، هنا تنفس الصعداء قدوس وبدأ كعادته بالتفاؤل الخبيث، وقال: أحسنت يا باشاوي، الطبلشاني والأعرج، أراكما صامتين ! لم تشاركانا الحديث؟

لم تسألنا يا زعيم، هكذا كان رد الطبلشاني، نحن حاضران لما تأمر، ونحن رهن إشارتك، قالها الأعرج،

فقال قدوس: تحقيق مشروعنا يتم بينكما أنت والطبلشاني، التفتا على بعضهما والحيرة تعتريهما

وبدأت الأفكار تتأرجح داخل رأسيهما، هل هذا صالح أم طالح، فقال طبلشاني: كيف ذلك يا زعيم؟

قال قدوس: اصغيا إلي، ستقود أنت يا طبلشاني حزبا قمريا أنا أسميه، يحرض على الطائفية، ونبذ الشمسي، الأهم هو إشعال النار بين القمري والشمسي، الخروج عن القانون والابتزاز والخطف والمساومة، كل هذا باسم الحكومة والطائفية، متى ما اشتعلت الفتنة عندها سيتحقق

مشروعنا الذهبي الأبدي، سنصبح امبراطورية، أفهمت؟ تستخدم التعصبية في كل شيء، أريد أن تجعل الجار القمري يأكل جاره الشمسي، هذه مهمتك، و أنت يا أعرج لك جماعة الشمس، سأجعل لك تنظيما خاص بك، تنظيم شمسي، يحرض على قتل القمري، والحمائمي التابع للحكومة، وسيكون هذا التنظيم أشد جرما من تنظيم طبلشاني، لأنك أكثر دهاء منه، اخفي خبثك، تنكر بزي رجل محرابي وتردد على

المعابد، وكون علاقات فيما بينهم و ستصل إليهم جميعا، وعند وصولك، سيأتيك كل ما تحتاج إليه وعندها ستبدأ الثورات الداخلية، والحد من تمرد طبلشاني إلى أراضيكم واعتقالكم، حتى

تكتمل دائرتنا بالخطة المحكمة والمرسومة، أنت تفكر وتقرر وتستشيرنا بآرائك وقراراتك، وسيعينك طالوت على من يقف بوجهك قالا معا: حسنا يا زعيم، مثلما تحب وترغب، سنعمل بالإجراءات اللازمة للوصول إلى احتفالية تأسيس الحزبين، قال قدوس: ننتظر وصول الكتاب من الانتهازية الذي يحتوي على الخطة، الآن بدأ عملنا الحقيقي، قوموا أنفسكم على التحدي والاصرار، لا تعلمون، ربما سنستحوذ على البلد في وقت قياسي، فالشعب هنا متلون ومنافق، يلهث وراء الأغنياء والأباطرة، ويمجدون الأقوى، بإمكاننا استعبادهم إذا تحققت شروطي

وتم تنفيذها بحذافيرها، هل من شخص لديه اعتراض؟ معارض لمخططنا؟ عاجز عن العمل بمهمته على أتم وجه؟

قالوا جميعا: لا يا زعيم، قاطعهم باشاوي وقال: هناك رجل في السجن، أحتاج إليه، ذكي وداهية، هل يمكنني استدعاءه يا زعيم، قال قدوس متناسيا أبو نعمان، ظنا منه أن ما يريده باشاوي هو شخص عادي، :خذ ما تريد من الأشخاص، واعمل بمهمتك،

رد باشاوي: شكرا يا زعيم، سأفعل ما تريد، نهاية اللقاء قدوس قبل أن ينهض قال: حسنا، إذا لاوجود للمعارضة، وهذا ما أرجوه، الكل راض على ما اتفقنا عليه، كونوا في الموعد جميعا، سنلتقي الأحد القادم ولأرى نتائجكم، فجأة يدخل الحارس الشخصي لقدوس حاملا هاتفا بيده، فقال: زعيم، السيدة، أسينات على الخط،: أمسك بهاتفه وبدأ بالتكلم معها : مرحبا حبيبتي، أنا في الطريق إليك، قالت له :حبيبي لدي مفاجأة لك، لا تتأخر، فقال لها: حسنا يا زهرتي، وداعا، وأغلق هاتفه ثم قام

قاموا جميعا إكراما واستعبادا وذلا له، ومشوا خلفه حتى ركب بسيارته ورحل، ثم صعد كل منهم في سيارته وغادر، في الساعة الثامنة مساء من يوم الأحد كان أبو نعمان و اورفان و خليل متعبين جدا من إرهاق

العمل في الأودية الذهبية في الصحاري، فتناولوا وجبة العشاء مبكرا ثم استلقوا،السجن هادئ والكل نيام إلا أبا نعمان كان مضطجعا في فراشه ومشعلا سيجارته وبيده قلما يدون يومياته في السجن، كعادته متخفيا، نادى منادي السجن: عبدالوهاب أبو نعمان، كرر هذه الجملة أكثر من ثلاث مرات، حتى انتبه لها أبو نعمان، فقال نعم، قال الحارس: لك زيارة، ثم بدأ بالسير نحو الباب، حالة غريبة جدا، لم يزره أحدا ولم يناديه شخص من خارج السجن من قبل ابدا، ظل حائرا وبداخله تحوم الشكوك والتوقعات، وصل إلى حارس السجن وقال له: نعم، ماذا تريد؟، قال له: تفضل إلى صالة الضيافة، هناك شخص يريد أن يلتقي بك، أبو نعمان هنا شك بالفخ أو من المباغتة، أراد أن يوقظ جماعته لكي يشهدوا له إذا حدث له أمرا سيئا، لكنه تراجع، قال : من ؟ أجابه حارس السجن،: لا أدري، ستعرفه عندما تراه، لكن قبل ذلك أعطني يديك لأكبلهما، فبدأ بتكبيله، وراحا يسيرا في الممر ذو الأضواء الخافتة والمخيفة، ورائحة الصحيات والمغاسل الطافية من كثرة السجناء، وكمية الهمجية لدى أفراد العصابة، وصلا عند الشخص، فوقف ابو نعمان ينظر لزائره وإذا به، صديق الطفولة، وعدو اليوم، باشاوي، نظرا بعيني بعضهما مدة من الوقت لكن طبيعة الزعيم أبو نعمان هي الأنفة

والكبرياء، جلس دون أن يلقي السلام عليه، وقال: باشاوي، ما الذي جاء بك إلى هنا؟ أهي مهمة أم تصفية حساب؟ رد باشاوي: جئت من أجلك، قال له: لا تكذب باشاوي، البلد عبارة عن تصفية حسابات داخل حلبة دون حبال، والفائز دائما وأبدا وسيظل الأقوى، لا توجد مودة بين أحد وآخر، هي فقط مصالح، العالم مبني على المصالح، قل لي : ماذا لديك؟

قال باشاوي: أبو نعمان، صدقني تورطت معهم، لم أستطع الرفض؛ لأن مصيري سيكون مثل مصيرك الآن، أتخالني محتاجا للمال؟ كلا، لكني خائف، وهذا الرجل خطير جدا،، وقد تورطت مثلك،

رد أبو نعمان: لست مهتما يا باشاوي، قل ما عندك، الوقت تأخر وأريد أن أخلد للنوم. قال له : استعد يوم غد للخروج من هذا المكان اللعين، اندهش أبونعمان وقال: كيف تخرجونني؟ ألست عدوكم؟. قال له باشاوي: أنت عدو الغرفة لا عدوي، أنا صديق الجميع، ولست عدوا لأحد، وهل يدري قدوس بخروجي؟ قال له: لا، بعدما قتل أهلك، لم يعد يرغب بسيرتك أو الحديث عنك،

قال الزعيم: عندي شرطين للخروج معك، أولا : تقول لي ما فائدتي لك بالخروج؟ ثانيا : لدي شخصين هنا، هما بمثابة أبنائي، اعتنوا بي

وعملوا على خدمتي طوال هذه الإقامة النتنة، وأريد أن أرد الجميل بإخراجهم، قال باشاوي: أما شرطك الأول: فقد كلفني الزعيم بمهمتين صعبتين، لا أستطيع القيام بهما إلا معك، انت رجل ذكي وفطن، سأمدك بكل ما تريده من مال وجند، فقط اكفني شر هذا الملعون، وشرطك الثاني سهل جدا، ليتجهزا غدا معك في الساعة 6 صباحا تماما، قبل خروج السجناء للعمل بساعة، سآتي بسيارتي وأقلكم إلى بيت مجهز، وعندما تستريحون سنتحدث، اقتنع الزعيم وقال : حسنا، سأنتظرك على الموعد، نهض من مكانه ورجع إلى مكانه الأتعس، الذي شارف على مغادرته،

قضى فيه أسوأ عشرة أشهر بتاريخه، من مترف إلى سجين مسن عاجز عن الحياة، اندلس بفراشه،

وبدأ يدون بمذكرته التي أصبحت المتنفس الوحيد له وكتب : إنها بداية النهاية يا قدوس، كررها أكثر من مرة، بدموعه الحارة المتساقطة على أوراق مذكراته، ملأ وسادته دمعا كعادته كل يوم، ونام على أمل الفرصة للنيل من قدوس المجرم، وصل قدوس إلى منزله وإذا بزوجته العميلة آسينات تنتظره، امرأة في نهاية العقد الثالث، من أسرة قومية، والدها قومي وأمها درهمية، تعمل لصالح المخابرات المستبدة دون علم

دولة الانتهازية بعملهما المباشر مع تلك المخابرات، وهي بهذه المهمة مع زوجها الذي تم تكليفه من قبل المخابرات لإحداث زعزعة داخل هذا البلد والاستيلاء على ذهبه، لكنهما يعملان بصمت، وهذا ما يجعلهما مميزين لدى رؤسائهم، طرق الباب فتحت له وقالت: عزيزي، لدينا ضيف، تأخرت علينا، آسف، كان لدي اجتماع ضروري جدا(رد عليها)

دخل إلى غرفة الضيافة وإذا برجل من مخابرات الدولة الانتهازية المسؤولة على هذا البلد بشكل تام، القى التحية ودخل، رد عليه التحية وجلسا، بعدما انتهت مراسيم السؤال عن الحال، بدأوا بالتكلم على وضع البلد والمهمات التي تنتظر قدوس، قال له ذو (البدلة البيضاء) :هناك قوى شمسية خارجة عن إرادتنا، دمروا هذه القوة بأسرع وقت يا قدوس، أو اقحموهم بحرب مع إحدى المافيات القمرية لكي يخففوا عنا، أجابه قدوس بذل وخنوع: ياسيد، نسيطر على ما يقارب ال80٪ من البلد، والمستبدة معنا، ولدينا اتصالات ومصالح مشتركة، أما ال20 ٪،فهم مجرد إمعة، سنتخلص منهم جميعا، أنا أعمل على ذلك، قال السيد: التفجيرات تبدو في انخفاض، هذا ما يثير قلقنا هناك، القمريون يحبون التواجد في معبدهم، والشمسيون كذلك، استغلوا فرصة تفجير

المعابد المكتظة، فجروا أكثر عددا من الأمكنة، علهم ينفرون من دينهم، ويتمسكون بالتعصبية، جلبت معي كتابا يحتوي على ضوابط وتعليمات يجب أن تنفذ، خططا وضعوها الانتهازية، يريدون منكم أنت وإخوتك في الغرفة الظلماء أن تعجلوا بتنفيذ هذا المخطط الذي سيؤدي بهذا البلد إلى الجحيم الحقيقي، خذ هذا الكتاب، استنسخه وأعط لكل عضو نسخة، وإياكم أن يجده أحد، اعملوا بسرية تامة،

_ سنفعل ذلك يا سيد، وسأوزعه على الغرفة من يوم غد، لكن أود إخبارك بشيء، تواصلي مع المستبدين في الفترة الأخيرة قل بعض الشيء، أخشى أن يعتمدوا في عملهم على غيري، ويفشل مخططنا ومخططكم، رد السيد بثقة تامة: لا تخف، علاقتنا معهم على ما يرام، هم قدموا لنا هدية عظيمة باحتلالهم للعاصمة، ستكون هناك بعض الصراعات بيننا، صراعات التأثير على الشعب الحمائمي، حصتهم ستكون المنطقة المتوسطة نحو الغرب وحصتنا المنطقة المتوسطة نحو الشرق والجنوب ، اتصلوا بي يوم أمس وتحدثنا، وكانت بعض قرارات هذا الكتاب هي من قراراتهم، لا تقلق، هم يريدون في بعض الأحيان محاولة فرض رأيهم علينا، ونحن سنجاريهم، ونعمل على تسقيطهم داخليا، وبالتالي في الحالتين سنربح، نحن معهم بأمور، وضدهم بأمور

أكثر، الحكم سيذهب للقمريين، يجب أن نكسبهم بكل الوسائل والطرق، علينا أن نحدث ثغرة، ندخل من خلالها إلى داخل بيوتهم، وإيجاد الحرب الطائفية بينهما، الشمسيون يرفضون المستبدين، والمستبدون يدركون ذلك، لكن المستبدين لن يقتربوا من القمريين؛ لعلمهم المسبق أن القمريين ولائهم لنا، لذلك فهم يحاولون على أن يكسبوا الشمسيين، يجب أن نسبقهم بخطوة، القمريون معنا، والشمسيون ضدنا، لنضربهما ببعض، ونجعلهما مشغولين بحرب لا فائز بها إلا نحن، يجب ألا تهدأ تلك الحرب، وهذه هي مهمتك يا تاجر الحرب يا قدوس، انتشى قدوس ورد بكبرياء وأنفة وأحس بقيمته عند هذه الدولة،:حسنا يا سيد، لكن تنظيم الصحراء يريدون تمويل، وميزانيتنا لم تعد تكفي لكل التنظيمات والأحزاب الذين نعمل على تهيئتهم لساحة الحرب، لذلك فأرجو إرسال المبالغ التي أطلبها في الوقت المحدد

قال السيد: لا تقلق، ليست مشكلة كبرى، خصصنا لهذه الحرب مبلغ ضخم، لكل الأطراف.

قال قدوس: ما خطتكم لتوزيع المناصب، خاصة المناصب الأمنية؟

رد السيد: في هذا الكتاب الذي أعطيتك إياه، وضعت به قائمة تحوي على عدد من الأسماء، ولكل اسم منصب يقابل اسمه،

وكيف استندتم من نظافتهم؟ وكيف أعطيتموهم تلك المناصب؟ قالها قدوس..

رد السيد : وضعنا قائمة فيها أسعار المناصب، ومن شروطنا أن من يشتري المنصب عليه أن يعمل لصالحنا، على السمع والطاعة، وكل هذه الأسماء وافقت على عرضنا،

هناك بعض المناصب التي لم تتطرقوا إليها، هل أبدأ بتوزيعهن؟ بنفس طريقة توزيعكم!

صمت قليلا، وهو على نية إشعال سيجارة، فقال :سنعطي مناصب القوات الأمنية للأشخاص الذين

يعملون لصالحنا، بإخلاص وتفاني،

سأل قدوس سيده: حتى وإن كانوا سفاحين؟

فرد بغضب، كأن قدوس استفزه: لا، بل اقتلوا كل السفاحين، وأهلهم، وجردوهم من وظائفهم، فهم

لا يستحقون الحياة، وذكرنا لكم في هذا الكتاب كيفية التعامل مع السفاحين، وأنصار السفاح اللعين،

والآن أنا ذاهب، وانتظر ما يسرني منك وما يسر العاصمة، فقام وارتدى ثوب جلد الحية، وغطى ذيل العقرب الذي يرتديه، وركب في سيارته المتواضعة، كي لا يثير الشكوك، ورحل إلى عاصمته ..

لم ينم أبو نعمان إلى الآن، تبقى ساعتان على موعده مع باشاوي، الذي وعده بأن يخلصه من هذا الجحيم، أيقظ أبو نعمان خليلا و اورفان، وحكى لهما القصة كاملة، فرحا كثيرا، وقالا له: ما هو القادم يا أبو نعمان أخبرنا عن كل شيء قبل أن نغادر، قال لهما: نحن ذاهبون إلى الغرفة الظلماء، لكن قبل رحيلنا أنتم ستبقون بعيدا عن الأنظار، ونخطط لما نريد أن نفعله بهم، بدأت التساؤلات والاستفهامات، تشق عقل خليل، فقال: أخبرنا عن شخصيات تلك الغرفة يا أبو نعمان

فقال أبو نعمان: قبل أن اتكلم عن الغرفة، هناك مبلغ من المال دفنته في أرض بيتي، فبعد سقوط البلد لم أعد آتمن احدا في البلد، لا البنوك ولا الصيرفات، فدفنت مبلغا محترما، يكفينا لنرتب وضعنا للانقضاض على هؤلاء الخونة..

اورفان قال له: كم يبلغ تقريبا؟

قال أبو نعمان: مليوني دولار$

اندهشا، وقالا له بمزحة: سنأخذهن ونهرب إلى خارج البلد.

قال لهم: إذا أردتم أن تنعموا بحياة كريمة، غادروا البلد، غادروه مع أهليكم، البلد لم يعد صالحا للعيش، ستستمر الصراعات إلى أكثر من مائة عام، إن البلد فتى أصيب بمرض السرطان القاتل، وهو بزنزانة أعدائه، لن يتركوه حتى يموت، سيدفنوه بأيديهم، هذا هو هدفهم،

قال اورفان : أبو نعمان، قبل كل شيء سأذهب لرؤية أمي وأطمئنها علي، وأخبرها بأني مسافر لفترة، سأعطيها مالا يكفيها في فترة غيابي، وبعدها سنبدأ بعملية انتقامنا من تلك الغرفة البشعة..

أجابه أبونعمان: ممتاز، لك هذا، وأنت يا خليل، هل تريد الذهاب إلى الكبرى ؟ إلى أهلك وعائلتك؟

أجابه خليل بحزن عميق، أخذ نفسا طويلا مليء بحسرة تخللها لوعة على أخيه: لا لن أعود، سأكمل ما خططنا له، لم تزل العودة مبكرة جدا، يجب أن تكون عودتي بلا رجعة

حسنا إذآ، تحضرا، سأذهب لأتوضأ وأصلي الفجر ريثما يأتي باشاوي،

أقدم أبو نعمان وتوضئ ثم جاء وصلى صلاة الفجر وبدأوا للاستعداد، فبعد مرور أكثر من ثمانية أشهر على سجنه الظالم ها هو يشارف على الخروج، مع اورفان و خليل اللذين أكملا الشهرين،

لقد أحسوا بأهمية الحرية والتعايش واحترام القوانين والتطلع لرؤية دولة جديدة تسعى للحفاظ

على كرامة المواطن الذي يعيش على أرضها ويدافع عنها ويعمل لصالحها، كان إحساسهم يشبه العائد من الموت، لحظات قبل وصول باشاوي، أبلغ أبو نعمان أصحابه: بأنهم ثائرون وفدائيون من أجل الوطن والدفاع عن ممتلكاته والتخلص من أعدائه، حتى وإن لم يستطيعوا التخلص منهم بالكامل، لكن على الأقل تقليص عددهم لجعل المهمة أسهل للثائرين من بعدهم، وصل باشاوي مع حماية يصل أعدادهم إلى خمسة أشخاص، ببدلته الرسمية المعتادة، حاملا معه أزياء رسمية لأبي نعمان والشخصين اللذين يعملان لصالحه القوا التحية على بعضهم ثم ارتدوا ملابسهم الجديدة وخرجوا من سجنهم الموحش والمظلم، كانت لحظات تاريخية، بكى حينها اورفان بكاء حارا، كان يمني نفسه بأنه سيرى أمه، سيعود إليها ليبدأ من جديد وكأن الحرب التي أخذت أبيه انتهت للتو مثلما كانت عادة أمه، الانتظار والحسرة، مشوا حتى وصلوا سيارتهم الجديدة المقدمة من قبل باشاوي، تسنموها ثم أمرهم باشاوي بإتباعه، كان لازال حذرا منه أبو نعمان، لذلك أبلغه بأنهم سيذهبون للاستراحة من عناء السجن وفوضته وأنهم سيتصلون

به بعد يومين أو ثلاثة، لم يمانع باشاوي، بل رحب بالفكرة، أعطاهم رقم هاتفه وانصرف، توجهوا إلى بيت أبي نعمان، كان في منطقة قمرية الأصل، وصلوا إليها ثم نزلوا، كان أبو نعمان حزينا جدا، لأول مرة ينكسر فيها أمام أصحابه، تأثروا كثيرا، فصاروا يبكون معه، كانت لحظات تعيسة جدا، لا تسمع فيها سوى تنهدات أبونعمان التي تخرج من أعماق روحه، هدأه خليل وقال له: اهدأ أبونعمان، لعل القادم أفضل،

رد عليه أبو نعمان: أشباه أوطان لا نكون فيها إلا قتلى لم يحن دورهم، كل شيء مات يا خليل، لم تعد حارتي كما كانت، ولا حتى العاصمة، البلد باهت جدا، لا توجد في هواءه رائحة كما في السابق،

هل تحسون بذلك أم أنا فقط. أجيبوني؟ هل الهواء لديكم مثل الذي أحس به؟

أزاح التراب الذي سيطر على ملابسه من أثر السقوط القوي على ركبتيه، ودخلوا إلى بيته المظلم، ذلك البيت الذي كان عامرا بأهله وناسه لولا الخراب الذي حل بالبلد، كسروا الأقفال فدخلوا، أشعلوا الإنارة ثم جلسوا يحدثهم أبو نعمان عن بيته وتفاصيله، وعن عادات قبيلته، وعادات أهله، كان يتحدث بلغة الحسرة، دخلوا بعد ذلك إلى

الحمام واحدا تلو الآخر، استحموا وأخذ أبو نعمان وقته في مراجعة البيت، والبحث عن المبلغ المدفون، حفروا معا ما يقارب النصف مترا فوجد ماله كله مدفونا بطريقة منظمة، كما لو أنه مدفون للتو، أعطاه لهما وقال : الآن بدأت معركتنا القوية مع الأعداء والغزاة والسفلة، اجتمع قدوس بحاشيته، في يوم الخميس، كان بحوزتهم كمية من المال، تقدر ب600 مليون دولار، هدية من الدول الممولة. لكل المافيات المتنازعة فيما بينها، حضر قدوس، وحضر زياني وباشاوي وطالوت وكل الأعضاء المشرفون، ليقسموهن فيما بينهم.

قال قدوس: حصة الغرفة الظلماء من هذا المبلغ هي 200 مليون دولار، تكون حصتي 100 مليون،

و100 مليون لكم، أما ال400 مليون فسيتم توزيعهن بأسرع وقت، القمريون 150 مليون، لكل المافيات الخارجة عن القانون، 150 $ مليون للأطراف الشمسية في الصحراء والحضر، ونرسل للدولة الانتهازية 100 مليون دولار$ كتحسين معيشة، ريثما تتحسن أوضاعها وأوضاعنا معا،

كما لدي بعض الأمكنة والشخصيات أود التخلص منها، يجب أن نقتلهم بأسرع وقت، أعطوني كتابا يحتوي على مجموعة من التعليمات

للمهمات القادمة يجب أن نقتل الشخصيات التي علا صوتها في الآونة الأخيرة، من الطبقة المثقفة، هذا الكتاب سيبقى هنا في الغرفة، ولمن يريد التعرف على مهماته، فما عليه إلا أن يراجع هذا الكتاب. باشاوي كان متخوفا من تدخلات المستبدة، لأن بحوزتها قائمة سوداء للأشخاص الذين ولاءهم للدولة الانتهازية، هو يعلم أن الانتهازية لا تحمي أحدا من المستبدة، لكن القدر وضعه في المكان غير الصحيح، وضد أعتى الدول وأعظمها الدولة المستبدة

بعدما أعطى أبو نعمان المال لهما قال : من الآن وصاعدا سأكون أنا من يحرككم، لا أستطيع دخول الغرفة، لأنهم يعرفوني، لكنكم بمساعدة باشاوي ستدخلونها، سأختار واحدا منكم لدخولها، وقبل أن أختار، جاء الوقت الذي يتيح لي أن اتحدث لكم عن تلك الغرفة، أعدادهم، انتماءاتهم، من الذي يدعمهم وسأبدأ لكم من زعيم الغرفة قدوس، هو زعيم المجموعة السرية التي تسير البلد إلى التهلكة، منظم عمليات التهريب، مسؤول على إقامة الخلافات بين الديانتين الحمائميتين القمرية والشمسية، والمسؤول رقم واحد في الغرفة التابعة للدول العظمى والدولة الانتهازية للهيمنة على مصالح البلد، هو عميل للمستبدة داخل البلد، استخدمته بعدما عرفته أنه الرجل رقم واحد لدى

الدولة الانتهازية، أعطته الأمان بأنهم لن يبلغوا الدولة الانتهازية بولائه وانتمائه للمستبدين،

يعتبر الآن هو الحاكم للبلد، الحاكم الفعلي والمتنفذ بكل شيء، متزوج من عميلة يقال بأنها درهمية

وهذه المعلومات تعرفها الدولة الانتهازية، اسمها السيدة آسينات، لها مكانة وسلطة ونفوذ عند الدرهميين وعلاقاتها واسعة جدا، الرجل الثاني بعد قدوس هو زياني معاون الزعيم وظله، وقح وداهية ومن أفكاره تنطلق أغلب قرارات الزعيم قدوس، وهو صاحب المقولة الشهيرة: إذا أردنا أن نسيطر على الذهب في البلد يجب علينا أن نشعل النار في داخل كلتا الطائفتين، يقال بأنه من الأصول الانتهازية، لا توجد أية دلائل تدل على أنه حمائمي قبل سقوط البلد، الرجل الثالث هو بهشراني، من المسؤولين الكبار الذين يعتمد عليهم في عمليات التخريب والتهديم والفلسفة المهلكة، خطير جدا، ملياردير حمائمي، لكنه ظهر بعد السقوط، مشكوك بحمائميته يعبد المال ومصلحته فوق كل شيء فكره الديني المتطرف يقوم على أساس استخدام الدين في الحكم لكي يبقى الشعب مهانا، وتبقى الطبقة الحاكمة منبوذة بنظر

شعبها ؛ لأنهم سيخترقون الدين ببعض القرارات التي هي من صالح الغرفة، حتى يبقى الشعب حائرا، مهمته الفعلية هي تجارة المخدرات.

الرجل الرابع عباس الطالوت مسؤول عمليات التنفيذ التي تصدر عن القيادات العليا داخل الغرفة الظلماء، مجرم وطائفي، سياسي محنك، سفاح، قاس، قاتل، وحش يعتبر من أكثر الرجال الذين لهم أهمية وحظوة عند الزعيم قدوس؛ والطبلشاني والأعرج والباشاوي هم أعضاء عاديين لكل واحد منهم قرار ورأي داخل الغرفة الظلماء، تأسست الغرفة الظلماء قبل سقوط البلد بعام، وقيل أكثر من ذلك، في عاصمة الدولة الانتهازية، وهم مدعومون من الدول العظمى التي أسستهم ودرستهم وعلمتهم وجعلتهم أباطرة لتسيير الحياة بعد سقوط البلد المنتظر، يقودها اليوم الزعيم غير القومي عبدالقدوس الذي درس الدكتوراة بعلوم الشريعة وتعلم كل خبايا دين هذا البلد، وجاء ليفعل فعلته، مهدت مخابرات الدول العظمى الطريق له، أعطته مالا ونفوذا وسلطة لم تعطه لمسؤول ولا لرئيس دولة قبله داخل هذا المستطيل، يحمل جوازا دبلوماسيا، يحق له الدخول لأي دولة يريد دخولها، طاغية مخفية، جبارا ومتكبرا ولاءه لأسياده، ولا يملك ولاء للوطن البتة متنقل بين الانتهازية والعاصمة الحمامة والدول الممولة متزوج من

عميلة للدول المستبدة، زوجته المخابرات هذه المرأة، لزيادة الألفة والترابط والمحبة بين قدوس ومخابراته، هذه هي الغرفة الظلماء التي كنت أحدثكم عنها، بأدق تفاصيلها، وإجرامها، كلهم مسؤولون عما يحدث داخل البلد، ليس فيهم بريء إطلاقا، ومن يدعي فيهم البراءة والتردد فهذا أكثر شخصا فيهم دناءة وخسة،

قال خليل: هل تقصد باشاوي يا أبو نعمان؟ تبعه اورفان قائلا: أظن بأنك تلمح إلى أن باشاوي مجرم أيضا، رغم أنه جبان، هل تقصده؟

أجابهما أبو نعمان: نعم، أقصد باشاوي، إنه جبان، وفي الوقت نفسه، يعتبر عبدا للمال ولقدوس وحاشيته، لطالما تورط معهم ويقود الآن صفقات عظمى، فهو مثلهم تماما ولا يختلف عنهم بشيء ومصيره سيكون مثل مصير قدوس وذيوله وأعوانه، هل فهمتم؟ لا رحمة بعد اليوم، إننا أمام طريق لا عودة فيه، ولا أجبركما على الدخول فيه، ربما إن اكتشفوا أمرنا سيقتلوننا أقسى أنواع القتل ، لذا فمن كان منكم مترددا أو رافضا لفكرة دخول الغرفة، فله مني أن أعطيه ما يريد، ومن ثم يعود لأهله وينسى كل ما حدث، لأنه طريق مخيف وموحش، ونهايته واضحة،

قال خليل بتنهد: المصير واحد يا أبا نعمان، إن هربنا إلى أهلنا، وإن واجهناهم، صدقني الأمر سيان،

بدلا من أن يأتي إلى بيتي ويقتلني مثلما فعل في المرة السابقة، سأواجه بنفسي لعلنا ننتصر هذه المرة، أنت تقول أن من يريد النجاة فليذهب لأهله، هو كذلك، لأنه أقل خطورة، كلامك صحيح، لكن طالما هم من يسيرون الشعب وما يحدث داخل هذا البلد الشقي، فنحن معرضون للقتل داخل بيوتنا، لنواجه الموت مرة واحدة، أريد التحديق بعيون الموت، بعيون قدوس وطالوت، اتوق لرؤيتهم يا أبو نعمان، أما الحياة فإنها لم تعد مغرية كما عهدناها في البداية، صار كل شيء باهتا، بل انتزعت من داخلنا ذهب الشعور بالطمأنينة تدريجيا، فعن نفسي سأدخل هذا الطريق المظلم، لعلي أنير بعضا منه.

أجابه أبو نعمان: علمت بجوابك قبل أن أسألك، لكني أردت أن اتأكد وليهدأ ضميري، منذ اليوم الأول يا خليل وأنا أرى فيك شخصية البطل، كنت أبحث عنك منذ زمن، أحببت شخصيتك، وددت لو أني أعرفك قبل ذلك بكثير؛ لكن لم يشأ القدر بذلك

لم نسمع إجابتك يا سيد اورفان ؟هل تريد تكملة بقية حياتك مع أمك التي أفنت حياتها لك ولأخيك ام أنك تريد دخول طريق ليس له مخرج ؟

حدق اورفان بأبي نعمان وجر سيجارته، ثم أزاح نظره إلى منقذه خليل، كان التردد في عينيه بارزا، والحسرة على أخيه المظلوم تطغى على ترددد، قال: أما أمي فلها ربها، الذي كان معها طوال العشرين عاما الماضية إنني اتوق لتكملة حياتي معها؛ لكن كما قال خليل قضي أمر حياتنا، انطوت وكتب علينا الشقاء، فالشقاء ميراث، وقد ورثته عن أمي وأبي رغما عنا، أنا ماض معكما يا إخواني، لنوقف قدوسا حتى وإن نجا شخص واحد منه، سننجيه،

قال أبو نعمان: الآن سأختار من سيكون بكما القائد، ومن سيكون يده اليمنى، كلاكما قائدان بنظري، لكن إذا كان الجميع قادة لن تسير عجلة الحياة، اورفان تحكمه العاطفة إزاء أهله، فغضبه على من قتل أخيه وأمه هو من يسيره، القائد يجب أن يكون حليما، صبورا، أما خليل فهو غاضب على من قتل أخيه أيضا لكنه أكثر صبرا من اورفان، وهذه صفات القائد أنتما متساويان بالجرأة والقوة والذكاء، فبهذه الصفات كلاكما سواء وهذا ما يجعلني أرجح كفة خليل على اورفان، وأجعلك يا

اورفان مسؤول على قتل من ننهي عملنا معه من اعضاء الغرفة، لكي تخفف عن نفسك، فالانتقام لأهلك يعطيك القوة، أما في الحقيقة فأنتما إخوان، بداخل الغرفة وخارجها،

رد اورفان بتبسم: يا عماه، صدقني كنت أعرف الإجابة، لسنا بصدد المجاملة، خليل أبلغ مني علما وأفهم مني لسانا، وأقوى مني بنية، وإنني سأكون خادمه، لست مهتما للقيادة، بقدر ما يهمني لقاء قدوس

أجابه خليل : أخي اورفان، اشكر كلامك الذي قلته، ومجاملتك إزائي، نحن كلانا نعاني من جرح مشترك، لابد من معالجة هذا الجرح، والعلاج يكمن بداخل غرفة طريقها أظلم، ضوؤها

المال وحسب، يجب أن نتجرد من كل صفاتنا الانسانية داخل هذه الغرفة، لأن الوصول للأهداف يحتاج إلى تضحيات، وفي النهاية نحن إخوة، لقد وضعوا تسميات لنا في تلك الغرفة، لكنها لم تشملنا نحن الأثنين، ولم تشمل أبو نعمان؛ لأننا ولا مرة واحدة تفوهنا بتسمياتهم والطوائف التي وضعوها؛ اليوم أنت حمائمي وأنا كذلك وحتى أبو نعمان، لكن داخل الغرفة يعاملونك على أنك قمري وأبونعمان كذلك، وأنا شمسي يجب أن ننهي تلك المسميات البلهاء يا أخي،

وما على أبو نعمان إلا التوجيه، فنحن نحتاجه الآن أكثر من أي وقت مضى،

تبسم أبو نعمان وتنفس بقوة، تظهر مدى ارتياحه لكلامهما مع بعض، ثم قام فقال وهو يسير حتى وصل حديقته الخلفية، وبدأ التحديق بالسماء حيث النجوم التي تبعث الأمل داخل النفوس، كانا قد لحقا به أخرج سيجارته وقال لهما: يا أبنائي، عندما أراكما أرى أن البلد لم يزل بخير، وأن الفاسدين

والمخربين سينتهون، يجب أن ينتهوا، لأن لا مكان لهم بيننا، مع بسمة أمل وطمأنينة،

بعد اجتماع شاق لقدوس وجماعته، وصل إلى زوجته السيدة آسينات، كانت متوترة بعض الشيء

متخوفة من عملهما لجهتين مختلفتين، استقبلته بتوتر حاد، ادفعها للعصبية رغم شخصيتها القوية، قالت له: أهلا قدوس، الحق بي إلى المكتب أريد التكلم معك بموضوع مهم وخطير، ذهبت مسرعة ودخلت مكتبها الكبير والفخم، الذي يحتوي على كرسي كبير، وجمع من الكراسي الفخمة أمامه، يصل عددهن إلى سبعة كراس، مع أعلام لأكثر من عشر دول خلف كرسيها، المحير في ذلك أنه لا وجود لعلم

الحمائم بين هذه الأعلام، طرق الباب قدوس ودخل، كانت هي مشعلة سيجارتها وأمامها كأس من النبيذ المعتق، جلس قدوس وقال لها: ماذا لديك يا عزيزتي؟ لم هذا التوتر والعصبية؟

حدقت به للحظة ثم قالت له: هل صادفتك مرة لحظة خوف؟

قال لها: مم أخاف؟ أنا أقود بلدا كاملا بيدي، لم الخوف؟

قالت له: أنا وأنت نعمل لصالح الدول العظيمة، ولصالح الدولة الانتهازية، والاخيرة لا تعلم بعملنا مع المستبدة، ماذا لو اكتشفت الانتهازية بعملنا مع المستبدة ؟

هل تعلم كيف سيغدو مصيرنا؟ سيجردوننا من كل مال أعطوه لنا، سيقتلوننا كما لو أننا لم نخلق،

قال لها بعدما أخافته وأظهرت ملامح الخوف على عينيه: اهدأي، أنا أعرف ماذا أفعل، العمل مع الانتهازية جيد، لكنها يا عزيزتي غير قادرة على حمايتنا من المستبدة أما الأخيرة فهي تعامل عملاءها مثل الكلاب، حينما تنهي عملها معهم ستقتلهم، وإذا اعترضهم أحد فهي لا تحمي من يعمل لصالحها، إننا نستخدم الاثنين لتثبيت جذورنا داخل البلد، إذا استطعنا أن نثبت لهم مدى تأثيرنا داخل هذا البلد، فسيسلموننا إياه، وبعدها تصبح المستبدة مجرد دولة صديقة، والانتهازية هي من ستكون

حليفنا وصديقنا الحميم، بدون الأول لم يكن لنا اسم، ولولا الثاني لما استطعنا أن نبقى في البلد لحظة واحدة، انظري كمية المال التي أصبحت بحوزتنا بعامين فقط، هل تستطيعين إحصائهن؟ بالتأكيد لا تستطيعين، لذلك فعليك التحلي بالهدوء والصبر، والعمل بالولاء للاثنين، وفق مصالحنا الخاصة، وأنا معك، طالما أنا معك، أرجو ألا تخافي. قامت من مكانها وأخذت رشفة من النبيذ المعتق حتى فرغ الكأس، وجاءت تتمايل إليه وهمست بأذنه، : حسنا عزيزي، اتبعني

في الساعة الثانية صباحا، اتصل زياني بقدوس في ليلة كانت عصيبة، تحضر لداهية كبرى لأهل القمحية، رد قدوس: زياني، ما بك؟

قال له : آسف يا زعيم، ولكن السيارات الستة قد وصلن ويجب أن ندخلهن إلى المدينة قبل الصباح،

نريد منك إخبار جماعة الصحراء لاستقبالهن، لصعوبة إدخالهن في ظل التجمع الهائل للقوات الأمنية في مدخل المدينة

قال له قدوس: حسنا، انتظر مني اتصال، ولتبلغني مرة ثانية بوقت مبكر، لا تفعلها ثانية،

اسف يا زعيم، لن تتكرر(قالها زياني)

أغلق قدوس هاتفه ومن ثم بدأ اتصالا جديدا بشخص يدعى الحالوبي..

رد الحالوبي: مرحبا يا زعيم،

قال له قدوس: مرحبا حالوبي تنتظرك ست سيارات ملغومة في الطريق الرابط بين العاصمة والقمحية في العنوان كذا وكذا، خذ جماعتك واذهب الآن، قبل حلول الفجر، مع ورقة مغلقة تحوي الأمكنة التي يجب أن تنفجر بها

قال له: حسنا يا زعيم، سأذهب الآن،

قال قدوس: عندما تنهي المهمة رد لي خبرا بالتفصيل الممل، لبى أوامر قدوس واغلق هاتفه.

اقدم هذا الإرهابي وجماعته واستقلوا الصحراء آخذين معهم سيارة محملة بجنود عصابة الصحراء

وصلوا إلى العنوان، نزل كل واحد منهم وقاد سيارة حتى صاروا مجموعة كبيرة من السيارات يقودهم في المقدمة الحالوبي بسيارته، عن طريق المنافذ الحدودية استطاعوا التغلغل إلى مخبأهم في الصحراء القاحلة المنقطعة، كان الجميع بانتظارهم، وعندما وصلوا، أطلقوا

جماعتهم العيارات النارية في الهواء إكراما لجنودهم الذين أكملوا المهمة على أتم وجه،

أرسل الحالوبي ثلاثة لمركز المحافظة، كانت صباح يوم الجمعة، المعابد مكتظة بالمحرابيين، عدد كبير يشفي غليل الانتهازية ويثبت جذور الغرفة الظلماء ويعلو مكانتها عند من تعمل لهم،

وجهتهم الأولى كانت لمعبد في وسط المدينة، حيث يتجمع هناك كل يوم جمعة، كم هائل من المحرابيين المدنيين الذين ينتمون لمختلف الوظائف الحكومية، منها السلك العسكري، ومنها التربوي والتجارة وغيرها، كان زعيم أحد الأحزاب موجود هناك، تسربت معلومة إلى الغرفة الظلماء بأنه سيكون متواجد داخل هذا المسجد، لذلك فكانت الخطة، أن تكون السيارة المفخخة المدمرة المرفوضة من كل الطوائف الإنسانية، أن يقودها سائقين، الأول يرتدي الحزام الناسف الذي سينفجر بداخل المعبد، والثاني سيركن السيارة بعد الانفجار بالقرب من المعبد ليفجرها بعدما ينفجر صديقه الملعون، نزل الأول في الساعة 12:15 دقيقة مساء، كان الخطيب يخطب خطبة على المنبر عن عصابة الصحراء وكيفية التصدي لهم،وإنهم مدعومون من الانتهازية، وعلينا أن نتخلص منهم كي لا تسيطر الدولة الانتهازية على بلدنا وممتلكاتنا، هكذا كانت خطبه

منذ بدأ الحكومة الجديدة، وصل إلى الباب بهندامه القذر، بنطلون أسود وفانلة سوداء وجاكيت رصاصي، وحذاء "بوت" تقرب من الباب الثاني المؤدي إلى داخل المعبد إلا أنه لم يستطع الدخول لكثرة المصلين بداخله، فبدأ بعبورهم باستحقار كأنهم ليسوا بشرا، يزيح هذا ويدعس ذاك، حتى وصل إلى وسط المعبد، فصاح بصوت عال: العزة للجهاديين، كررها عدة مرات، وانفجر بعد ذلك، ليطبق سقف المعبد على الأرض، كما يطوي القارئ كتابه، كانت الأشلاء تتطاير من المعبد كما يتطاير اللحم من ضربة القصاب، تنثرت الدماء على حيطان المعبد، تحول المعبد إلى كتلة حمراء، كأنه يوم الحشر،منظرمخيف سقط على أثره الخطيب شهيدا، وأربعون آخرين معه، تكدست الجثث فوق بعضها، منهم من مات، ومنهم من راح يحبو بلا قدم وبلا يد، وآخرون خرجوا بلا حتى أعين، يتسابقون للوصول إلى الباب الملطخ بالدم، وبناره التي تآكلته ودخانه الذي يحجب عنهم رؤية الضوء المؤدي للخروج..

وهنا كانت اللحظة أشد حزنا، فبينما استطاع البعض أن يخلص نفسه ويذهب بجروحه إلى الخارج، كان الإرهابي الآخر الملعون، واقفا على بعد 30 مترا، مركنا سيارته بقرب باب المعبد، كانت مفخخة ممتلئة

بالحصى وجزيئات الحديد وبقايا الزجاج المهشم الصغيرة الحادة، تجمع الناس هناك بين منقذ وبين خارج ومذعور،

فضغط زناده على اللغم الكائن بداخل السيارة، ليكمل ما بدأه صاحبه اللعين،

انتشر الحديد والزجاج بقوة خارقة بمسافة 30 مترا مربعا، لتقتل كل من كان حول السيارة، وتصيب البعيد منهم، حتى أن احد القتلى الساقطين على الارض قال: بترت قدمي بداخل المعبد، فخرجت زحفا ولكن انتابني شعور بكيفية العيش دون قدم، لعل هذه تجهز علي، وتعفيني عن كل ما أحسست به لبرهة من الزمن..

بعدما انفجرت المفخخة أردته قتيلا، وكانت هذه الكلمات آخر ما سمع منه بعدما أجهزت عليه الثانية، صوت نساء المحلة، وسيارة الإسعاف، وذوي القتلى، كان يهز المدينة، يشبه مجزرة الدجاج الحي

كانت الحصيلة تقول: أن عدد الشهداء 71 شهيدا، خلفوا وراءهم سبعين أرملة وأكثر من مائة يتيم،

فاجعة القمحية لم تنته بعد، بل أن ذلك المجرم راح يمشي مسرعا إلى مركز شرطة هذه المدينة التي تبعد عن المعبد حوالي 1500 مترا

يحرسه شاب يتيم، وحيد لأخواته الخمسة، توفي والده ببداية الأحداث بعبوة ناسفة، تقرب منه وقال له: هل عقيد فلان موجود؟،رد الشرطي: تفضل، ماذا تريد منه؟ هو ليس موجودا، عندما يأتي سأبلغه بم تريد، قال : لا، سأبلغه بنفسي، دفع الشرطي واقتحم المكان، لحق به الشرطي وضربه على رقبته بالرشاش، فسقط، أخرج مسدسه وأراد أن يعده للإطلاق، فضربه الشرطي على يده، اجتمع العساكر من حولهم على هذه العركة الحاصلة، فاستغل فرصته وضغط على الزناد المرتبط بالحزام الناسف، وقتل الشرطي اليتيم وأربعة آخرين، لتنهي مأساة اليوم الأول، بستة وسبعين شهيدا، رحلوا ليرضي قدوس أسياده، ماتوا حتى يعيش الفساد

ويتم تنفيذ مخططهم بحذافيره،

المستبدون يخططون بأقلامهم، وقواويد البلاد المحتلة هم من يقومون بتنفيذ ذلك المخطط؛ لكي تبقى بلادهم محطة من محطات الدمار الخالد من أجل بضعت دريهمات لا تسمن ولا تغني من جوع..

استيقظ قدوس من نومه مؤخرا، في الساعة الثانية مساء، نتيجة سهرة ممتعة مع المدام آسينات، والتخطيطات الخبيثة، التي منعته من النوم، فوجد عدة اتصالات ورسائل، من الحالوبي، زعيم العصابة

الصحراوية، فاتصل به فور استيقاظه، أجاب الحالوبي: الو، مرحبا زعيم، رد قدوس : مرحبا، تكلم يا حالوبي، قال له : الأمور جرت مثلما خططتم لها، 76 شخصا تم قتلهم، من بينهم شيخ المعبد وزعيم الحزب اللذين طلبتم منا أن نقضي عليهما، فرح قدوس كثيرا، وقال: شكرا يا حالوب، أفرحتني كثيرا، سأعاود الاتصال بك لاحقا، وداعا، نزل إلى غرفة الاجتماعات ليرى ما حدث عبر التلفاز

ضغط على زر جهاز التحكم بالتلفاز ليرى القنوات ملتهبة، بأخبار شهداء مدينة القمحية، ضحك كثيرا حتى احمر وجهه، ودمعت عيناه، ونادى بصوت عال: أسينات، أسينات، فهرعت آسينات من صوته ونزلت ركضا، لترى سبب تعالي صوت زوجها، وما إن كانت الأسباب تستحق، فقال لها: انظري ماذا فعلت إمبراطوريتي، أكملت المهمة الأولى لكتاب مشتل الدم كما أرادتا الانتهازية والمستبدة، هما يعلمان مدى

قدرتي وسطوتي على تنفيذ هذا الكتاب، لكنهما يريدان أن يختبراني، أسقط نفسه على الكنبة، وقال لها: اليوم طلباتك مفتوحة، لتأمريني بكل ما تريدين وتشتهين،

قالت له: أريد أن نسافر اليوم إلى باريس، لعلنا نحتفل هناك لتحقيقك النقطة الأولى في هذا الكتاب الرائع،

كانت مجرمة أيضا، رغم تخوفها، وقلقها، إلا أنها تبقى مجرمة من الطراز الأول، ساهمت في قرارات زوجها بصورة تامة، قال لها : سأذهب للاجتماع وأرى المهمات القادمة، وآمرهم بما تبقى،

ونسافر ليلا، سأحجز تذكرتين في الساعة ال11

وعندها سنذهب..

اتصل أبو نعمان بباشاوي وأمره بالمجيء، أخبره بأنه سيأتي إليهم حالا

قال ابو نعمان لخليل: الآن سيأتي باشاوي، أريد منك أن تكون يده اليمنى، اجعله يثق بك، بعدها سأجعل باشاوي يدخلك الغرفة، وانت يا اورفان ستكون سند وظهر أخيك، سأعرض عليه الآن عرضين، أما نكون شركائه أو ينسى فكرة عملنا معه، إذا قبل الشراكة وسيقبلها طبعا رغما عنه بسبب برودته في العمل ويحتاج إلى من يوجهه ويستشيره،

قاطعه خليل قائلا : وإذا رفض الشراكة؟ كيف سندخل الغرفة؟ هو مفتاحنا الوحيد لتلك الغرفة،

أجابه أبو نعمان: إذا رفض وهذا مستحيل لأني أعرفه

جيدا، عندها سنواجههم وجها لوجه، لا تراجع ولا استسلام، قال اورفان لأبي نعمان: بم تريد مشاركته؟

رد أبو نعمان: نشاركه بأي عمل يريد، ذات مرة عرض علي عمل الجمارك داخل المحافظات، والمتاجرة بالمخدرات، سنرى إذا كانا عملين ملائمين. قال خليل: لم أفهم الجمارك داخل المحافظات! أوليست الجمارك على الحدود وبين الدول؟ أجابه أبو نعمان: لا، الآن أصبحت الأمور تختلف يا بني، فهم يضعون جنودا على مداخل المحافظات، يبتزون أصحاب الشاحنات، والمركبات المحملة، المساومة على العبور، أما الدفع وإما تعاود إدراجك من المكان الذي جاءت شاحنتك منه، التاجر سيكون مرغما على الدفع لكي تعبر بضاعته، وبالتالي سيجنون أرباحا مغرية، انتفض خليل وقام من مكانه والغضب بان على وجهه، وقال: إلى هذه الدرجة وصلت بهم النذالة والحقارة والفساد؟!كيف يهنأ لهم بال؟ كيف تهدأ جوارحهم حينما يضعون رؤوسهم اللعينة ذات التفكير الوسخ على الوسادة؟!

المال ليس كل شيء، لقد جعلوني أسأم منهم أكثر،

وهل هناك تسمية على وجه الأرض يجب أن تطلق عليهم؟! عباد المال؟! صناع الفساد؟! فاقدوا الضمير؟!

أعينوني على تسميتهم، ضرب يده على الحائط غضبا، بقلب ملتهب، حزين، مهموم، حاقد،

كان يحسب الثواني و الدقائق والساعات لكي يدخل في طريقهم، صورة أخيه لم تزل في خياله، اهله الذين لم يرهم منذ الحادثة، ولم يكلمهم بعد خروجه من السجن، كل هذه الأمور اجتمعت بداخل هذا الشاب الذي تحولت حياته من أحلام شبابية، إلى أحلام شريرة تكمن بالانتقام، والقضاء على هؤلاء الشرذمة الفاسدة النتنة،

أجابه ابو نعمان: كل تسميات الأرض منزهة من أن تطلق على صانعي الفساد داخل بلادهم، هؤلاء، لفيف من أشباه ألإنس، لا ينتمون لفصيلة البشرية البتة،

أنا و اورفان وشعب كامل، نحملك أمانة ستضعها على ظهرك مادام قدوس حيا، أفهمت يا خليل؟

كل شيء مقبول التراجع عنه إلا أن تكون مظلوما، وأنت قادر على استرداد حقك ولو بنصفه، ليس المهم أن تأخذ حقك كاملا، المهم أن تأخذ بعضه، حتى لو

كانت نسبة قليلة، لكنها ستترك ندبة وعلامة عند ظالمك وهذا ما سيشعرك بالطمأنينة.

وصل باشاوي إلى بيت أبي نعمان، وكان خائفا من أن يكون أبو نعمان قد تراجع عن قراره بالعمل معه، طرق الباب ورجع ثلاث خطوات إلى الوراء، فتح اورفان الباب له، وقال له : تفضل، سيد محمود، تبسم باشاوي وقال له: نادني باسم باشاوي، سيد باشاوي،

هكذا يكون الأمر أكثر جدية واحتراما، فطبطب على ظهره متبسما، أجابه : مثلما تحب، يا سيد باشاوي، دخل إليهم ببدلته الرسمية كعادته تاركا حراسه خارج المنزل لثقته المتعمدة بأبي نعمان، وهذا ما يجعل أبو نعمان يفكر مليا بحركات باشاوي الغير معهودة،،ربما ثقة، لكن بعد الذي حدث يفترض به ألا يثق لهذه الدرجة، هكذا كان يفكر أبو نعمان، نهض من مكانه ورد السلام الذي أطلقه باشاوي ماشيا، تصافحا ثم جلس باشاوي، وقال لهم: كيف كانت إقامتكم هنا؟ رد أبو نعمان: لا بأس، ليس مهما، اتصلت بك لأخبرك بشيء، فكرة عرضك كانت رائعة، لكني مطلوب الآن، لم يعد بإمكاني مشاركتك علنا، أو

العمل معك بشكل رسمي، لكني سأكون شريكا لك في أي عمل ترغبه أنت، وسنديره معا، دون علم قدوس، وإذا علم قدوس فلن أسامحك هذه المرة، بل ستحيي أوجاع المرة السابقة، وستكون أنت في مأزق لا يحمد عليه.

ارتبك باشاوي، وتنحنح ورد : حسنا، لا عليك، قدوس لن يعلم بشيء هذا وعد مني لك، ومشاركتك تسعدني، وأفرحتني بعرضك هذا، لنبدأ من الآن، فمهمتي القادمة ليست سهلة، بل صعبة نوعا ما،

قال له أبو نعمان: وما مهمتك القادمة؟

قال باشاوي: الدولة الانتهازية أرسلت لنا كتابا يحتوي على مهمات وأعمال يجب أن تنجز بوقت قياسي

قبل الدخول للعام القادم، فبتلكم المهمات سنمهد لحياة أخرى لهذه السنة الجديدة،

عندما سمع أبو نعمان بالكتاب، صار قلقا، هناك أمور تحدث لا يمكن السيطرة عليها، خاصة إذا كانت مفاجأة، ولم يخطط لها أبدا، خاف من أن تربك خطته، قال له أبو نعمان: ما اسم ذلك الكتاب الذي تتكلم عنه؟ رد باشاوي: مشتل الدم، كتاب ذو أفكار معقدة، يوفر لك المال لتنفيذ مهام قاسية، لكنها مشوقة

ستعجبك، فثروتي الآن أصبحت فاحشة، وضحك بصوت عال،

كان خليل يغلي من الداخل، وكأنه صفعه على وجهه بهذه الكلمة، لكنه نظر إلى أبي نعمان، وتبسم بوجهه الهادئ المتزن، معطيا إياه حركة أن تمالك نفسك واهدأ،

قال أبو نعمان: أتستطيع أن تجلبه معك لنرى محتواه؟

قال باشاوي: بالتأكيد، لكن قبل ذلك، أريد معرفة ما إذا ستكون شريكي أم لا؟

قال أبو نعمان: سل شريكك، فلست أنا من سيشاركك، خليل هو من سيكون شريكك الفعلي، وأنا شريكك بعيدا عن الأنظار، نظر باشاوي إلى خليل، وقال: على

الرحب والسعة، كانت نظرة خليل إليه توحي بالكثير، حرك رأسه ، بمعنى: يسرني ذلك،

نهض باشاوي وقال: الاجتماع بعد ساعة من الآن، سأذهب وأرى مستجدات المهمات الصعبة، لأجرب بها شريكي، وسأكون عندكم أنا ومشتل الدم في الساعة التاسعة ليلا فتبسم بوجه خليل وغادر المكان متوجها إلى غرفة الظلام والهلاك والموت ..

ارتفعت معنويات أبي نعمان وهدأت أعصابه، وقال : ألم أقل لكم بأنه سيقبل عرضنا؟ إنه جبان، ومتلون

وغير قادر على فعل أي شيء إلا بمساعدة من الأخرين، اليوم بإمكانكم أن تقضوا حوائجكم وتستعدوا ليوم أمس، يجب أن نستقبل مشتل الدم

بأبهى صورة، نريده أن يرانا، الحصول على الكتاب تعني بداية عصرنا يا شباب،

قال اورفان : أود زيارة أمي، سأذهب الآن، وأصطحب خليل معي ليرى مدى طيبة أمي وحلاوتها وفطرتها

أجابه خليل: وأنا أيضا متشوق لرؤيتها، تعتريني

لحظات أحيانا بالاتصال على أهلي هناك في مدينتنا ولكنني أخشى عدم مقاومة اشتياقي، طالما أخبارهم تصلني وهم بحال جيدة هذا ما يجعلني أقاوم وأكون أقل تعاسة مما سبق، هيا يا اورفان،

فقاما واستأذنا من أبي نعمان وخرجا، كان اورفان مبتسما من كل أعماق روحه، ترى الفرحة بقلبه قبل عيونه، يسابق خطواته، وقال لخليل : أحس بأني سأمتلك الخلود في الحياة، شعور لا يمكن أن أصفه لك، ماذا لو كان أخي معي الآن ونذهب ماسكين بيدي بعضنا صوب أمنا؟ ماذا لو تأخرت قليلا عن لحظة اختطافي؟ آه يا خليل، الحياة مليئة

بالاستفهامات الأزلية، التي تسكنها الحسرة، والقلق مما سيحدث، فاليوم يا صديقي أخاف أن تنتهي فرحتي هذه بشيء، القلق مسيطر علي منذ صغري

لقد تربا معي، وها أنا أكبر، ولم أتخلص منه بل كبر معي، وصار جزء مني، كانا يتحدثان في سيارتهما

الجديدة التي جلبها لهم باشاوي بعد خروجهم من السجن، وصلوا إلى منطقة اورفان، وصار يقود بشكل أبطء، وصلا إلى بيتهم القديم، كان متروك، نزل اورفان وتبعه خليل، كسر أقفال الباب ودخل إليه، البيت غير مسكون، الأتربة تحتل البيت من جميع أرجائه،

الشبابيك متفتحة، الملابس متناثرة، الغبار على الأجهزة المنزلية، لقد وقع ما كان يخيف اورفان، خرج مستفسرا إلى بيت جارهم، طرق الباب وهو بوجه شاحب، تغير لون وجهه إلى الاصفرار، هدأه خليل وقال له: اهدأ يا اورفان ، خرج ابنهم وسلم على اورفان ودخل لينادي أمه، أبلغها بأن جارهم المفقود على الباب يسال عن أمه، ابن السيدة أم اورفان

خرجت العجوز الكبيرة في السن التي كانت صديقة والدته، وخطواتها لا تريد الإقدام، كانت تعلم أن إخباره بالحقيقة شيء مزعج، وتخبئة الحقيقة أشد إزعاجا، ألقت التحية

عليه وقالت: أهلا يا اورفان، ما هذا الغياب؟ ظننا أنك مت! ما الذي حدث؟ تفضلا لنتكلم داخل البيت

أجابها :شكرا أيتها الخالة، قصتي طويلة وسأرويها لك لاحقا، وآسف لإزعاجك

إنما جئت لأسأل عن والدتي! أين هي؟ هل تعرفين عنها شيئا؟ بدت العجوز مرتبكة، واغرورقت عيناها بالدموع، قالت له ودمعاتها تسبق كلامها: بعدما انقطعت أخباركما أنت وأخيك، صارت تخرج كل يوم للبحث عنكما، حاملة صورتين لك ولأخيك، تسير كالمجنونة، حاولنا أن نوقفها لكن فشلت محاولاتنا فشلا ذريعا، اعتزلت الناس والجيران، اعتزلت كل شيء، وبعد حوالي شهر على هذا الحال، انفجرت سيارة مفخخة وأردتها قتيلة، قاطعها اورفان والدهشة بوجهه وصرخ بصوت عال: لالالا، أرجوك، احتضنته العجوز ورمى نفسه عليها وأجهش بالبكاء ثم سقط على الأرض وقال: كنت أعلم أن ثمة شيء سيحدث، إنني منذ الصغر أتنبأ بكل ما هو سيء، ألم أخبرك يا خليل؟

أمي، ماذا لو قطعت قدوسا، هل سترضين؟ ماذا لو عاد أبي؟ ماذا لو أن كل هذا لم يحدث يا أمي، هل ستكونين سعيدة؟ وهل اجتمعت عائلتنا من جديد، أنت وأبي وأحمد؟ تركتموني وحيدا أجوب صحاري الحياة كالأعمى، آه كم أنا مشتاق لأن نجتمع سوية تحت سقف هادئ، كم أود أن آخذكم ونعيش بعيدا في إحدى نهايات الأرض حيث لا وجود

إلا نحن، الصق وجهه بالأرض وصار يصيح : أنا مريض يا أمي، خلصيني من مرضي، لم أعد احتمل، رفع رأسه نحو خليل وقال له بالبكاء الغزير : خليل، هل هناك قاض أقدم استقالتي من الحياة عنده؟ أنا ميت من الداخل منذ سنين، بقائي لم يعد مهما على الأرض، قومه خليل الذي كان يبكي على صديقه بصمت، وأخذه إلى السيارة، ظلت العجوز جالسة على الأرض وهي مفجوعة على ما رأته من حادث مأساوي، كانت تجهش باكية، تشكرها خليل وركب سيارته واتجه إلى بيت إقامتهم، كان اورفان يبكي، يبكي بحرقة، وقال لخليل: أريد أن أبكي وحسب، أبكي على حالي، وأبكي نيابة عن الناس جميعا، لا أدري ما كنت سأفعله لو أن البكاء لم يكن موجودا، إنني أهرب من نفسي ومن سيرة الحروب، هروبا تاما، فأندلس بفراشي عاجزا عن تحريك حتى قدمي، ربما هو ضعف، وربما خوف وقلق، لكنني بريء من كل تلك الأشياء التي تمارسني خلسة وتستحوذ على كم هائل مني، لم تعد نفسي ترغب بالاستمرار، فالتفاصيل الدقيقة القابعة برأسي لم تعط فرصة لروحي أن تجر زفيرها دون حسرة، تشق صدري شقا عظيما، فاستدعي كل اللحظات الحزينة لأعذب نفسي، استدعيها استدعاء يشبه ذلك الذي يلف بيده حبلا ويعده للانتحار، بالضبط، فتهدئ

للحظات ثم أعود لتحليل تفاصيل اليوم الصغيرة، كل التفاصيل، حتى اصغرها، احسبها كما لو أني أحسب مالا باهظا، ثم أبدأ بلومة النفس، وتأنيبها، فتهدئ بالتعذيب وتسترح وتنام،

أجابه خليل: هل لديك الرغبة لأن تجعل بكاء قدوس مثل بكاءك الآن؟ مسح دموعه وفتح عينيه وقال: وبحرقة أوجاع قلب أمي لأجعلن قدوسا وأعضاءه ومن ينتمي إليهم يموتون تدريجيا أمام أنظاري، سأطفئ حرقة قلبي بموتهم واحدا تلو الأخر، سأنتزع أحشائهم وهم أحياء، سأقطع أقدامهم وأيديهم، واجمعهم جميعا في قصرهم، نعم قصرهم، سيشهد على انتقامي من قدوس وأعوانه، سأحرقهم جميعا بعدما أجمعهم، بالبنزين، مثلما حرقوا قلب أمي، وحرقوا قلبي، سنتعادل، وهذا وعد وأنت الشاهد على هذا الوعد يا خليل، فالانتقام من الطغاة الذ واشهى أنواع الانتقام ؛ لأنك تنتقم لجميع الناس في شتى بقاع أرض بلدك المظلومة، حتى وإن كانوا لا يعرفونك لكنهم سيبقون ممتنون لك ما داموا على هذه الأرض،

وصلوا إلى بيتهم وظل اورفان في مكانه هاجدا، ونزل خليل إلى أبي نعمان ليبلغه بما حدث لـ اورفان،

حكى خليل لأبي نعمان، وجاء أبو نعمان إلى اورفان وبدأ بتصبيره، وقال له: إنك مقبل على تخليص الملايين من الناس من أن يقعوا بمثل ما وقعت به الآن من إجحاف وظلم واستبداد، تخلصوا مني، قتلوني في الحياة بعدما قتلوا أهلي، وها هم يقتلونك أيضا، قتلوا أرواحنا وظلت أجسادنا، والجسد بلا روح فتات،

عليك الآن أن تمنع مثل هكذا جرائم،

دع الماضي وابدأ من جديد، علنا نتخلص من هؤلاء الطغاة،

وصل الجميع على الموعد المحدد لاجتماع قدوس

ليحتفلوا بمجزرتهم التي خلفت وراءها 71 شهيدا

مما ستعزز حظوظهم لدى الدولتين المستحلتين،

تناولوا المشروب المعتق مبتهجين، واشعلوا السجائر لبعضهم، عادة منهم للدلالة على النصر،

وبعد أن اكملوا أفراحهم، أخذ قدوس كتابه، قال : الآن الجزء الثاني من مهمات الانتهازية والمستبدة

الطبلشاني ستقود حربا على المناطق الشمسية، حربا غير صريحة، تواجه فيها الأعرج الذي سيقود الشمسيين ضدك، وأنت كما أسلفنا لك قيادة القمريين،

الحرب هي استنزاف المواطنين الحمائميين، بغض النظر عن مسمياتهم العقائدية،

وفي الكتاب توجد كيفية إدارة الحرب، ومن أين نقطة الانطلاق، وأين ستنتهون! هل فهمتم؟

زياني مهمتك القادمة هي تقطيع ألفي حمار وألفي ثور وبعهن على قصابي المحافظات، ضحك الجميع استهزاء وقالوا : ما فائدة الحمير يا زعيم؟

قال: أريد أن أقطع تفكير الحمائميين، أريد أن أجعلهم كالحمير وأشد غباء، غدا ستصل الوجبة الأولى، تقدر بأربعة آلاف حمار وثور، أمزجهن ثم أوزعهن بانتظام على عدالة،

كل مدينة ستحصل على عدد معين، بالتساوي،

سنحصل من بيعها على مليون دولار تقريبا، وهذا كاف لتمويل حربي طبلشاني والأعرج،

باشاوي، هل عرفت مهماتك الجديدة ؟

أجابه باشاوي: نعم يا زعيم، الأمور تجري مثلما تريد

قال قدوس: ما آخر أخبار المخدرات والأسلحة يا بهشراني؟

أجاب بهشراني: الخميس القادم موعدها يا زعيم، أجلوا الحرب أربعة أيام، ريثما تصل البضاعة،

قال : سنؤجلها، لكن حاول ان تحصل عليها قبل يوم الخميس إن استطعت، سأتصل بالوكلاء وأبلغهم بالعجلة، فتأجيل الحرب لا تعني منع حدوثها، فالحروب أقدار حتمية،

لقد جعلت هذين التجارتين بيدك لأنك أكثر الأعضاء حنكة يا بهشراني،

رد بهشراني: شكرا يا زعيم، شكرا على ثقتك، أعدك بأن أكملها على أتم وجه، لا تقلق،

نهض قدوس من مكانه، ونهض الجميع معه، وقال: أنا مسافر لعطلة، تستغرق يومين أو ثلاثة، اتصلوا بي على هذا الرقم الدولي، إن حدث شيئا،

وراح يمشي متجها إلى سيارته، ركب ثم غادر،

أخذ باشاوي نسخة من الكتاب واتصل بأبي نعمان

ليخبره بأنه متوجها إليه، واتفقا على اللقاء بعد ساعة

كان الجو حزينا، اورفان لم يصدق ما حدث لأمه، وخليل بدا خائفا مما حدث لصديقه، وأبو نعمان يحاول تهدئتهما ليجعلا تركيزهما ينصب في

التفكير في كيفية الدخول إلى أعماق الغرفة، كانت هذه الحادثة بمثابة الصاعقة التي نزلت عليهم، وأثناء هذا الجو الحزين، وصل باشاوي وكتابه بيده، رحبوا به فدخل وجلس، قبل ذلك كان اورفان منهارا، فطلب من أبي نعمان أن يعفيه من هذا الاجتماع، لم يمانع، وغادر البيت،

قال أبو نعمان: هل جلبت الكتاب معك يا باشاوي؟

أجابه : نعم، ها هو، تفضل، اقرأه وتمعن بقراءته،

أخذه أبو نعمان، وقال سيظل هذا الكتاب عندي، وغدا سأعطيك إياه، رفض باشاوي، لكن أسلوب أبو نعمان السياسي والمقنع، استطاع أن يستدرجه حتى اقتنع وقال: لابأس، ولكن في الخامسة عصرا من يوم غد، سآتي لأخذه،

قال له : أبو نعمان: تمام، ونحن جاهزون للعمل معك من هذه اللحظة، كشركاء، ومثلما أخبرتك أن خليلا هو من سيكون شريكك، وأرجو أن تدخله إلى الغرفة،

أجابه باشاوي: إذا كان عمله مثل عملنا، فسأكفله لدخول الغرفة، لكن يجب أن يبذل مجهودا مضاعفا لكي يقنعني بأنه يستحق الدخول لتلك الغرفة الرفيعة، وأنا سأقنع قدوس بنظافته، وبسيرته، وأعماله معي في

إدارة الصفقات ستشهد له إذا كان يستحق أم لا، وأنت تعرف قوانين الغرفة أكثر مني يا وهاب، قال أبو نعمان: مستعدون لأي مهمة، وغدا عندما تأتي سيكون خليل بانتظارك للدخول في مهمته الأولى. قام باشاوي : وقال :

اتوق للعمل مع شاب غامض، لنرى دور الشباب في قيادة أمور البلد، وهو ينظر إلى خليل الذي لم يبد عليه أية اهتمام سوى هزة الرأس التي أبداها لباشاوي، ثم انصرف بعدها، ،،

مع حلول الليل الحالك، جلس أبو نعمان في غرفته مع خليل، كان أبو نعمان ماسكا بيده أخطر كتاب في زمنه هذا، كتاب يحتوي على مخططات لجرائم حدثت وستحدث عما قريب، كتاب ذو شر، يحمل مصير شعب كامل، وربما أكثر من شعب،

يقلب في صفحاته الخمسين، لا يرى فيها سوى مجموعة كلمات أعدت بكل دهاء، الجزء الأول قد

مضى ووقعت جرائمه، والجزء الثاني لم يتبقى على تحقيقه إلا بضعة أيام قلائل، وكتب في أخر ورقة من هذا الكتاب أن الجزئين الثالث والرابع سيتبعان هذين الجزئين وإنهما في دوامة الاعداد، وسيكون في متناول الغرفة مطلع العام القادم، مطفأة السجائر امتلأت، أبو نعمان بدا غاضبا

وخائفا، خليل لم يزل لا يعرف ما يخبأه هذا الكتاب، مضت ساعة دون أن يتكلم أبو نعمان، فسأله خليل : أبو نعمان، ما الذي فهمته من هذا الكتاب؟ أرى ملامحك قد تغيرت!

رد أبو نعمان : هذا الكتاب هو كتاب الموت يا خليل، كل ما حدث للعاصمة ما بعد سقوط السفاح كان ينطلق من هذا الكتاب، هل تذكر تفجيرات القمحية؟ كانت من هذا الكتاب، والسيارة التي قتلت أم اورفان قبل شهرين في انفجارات العاصمة، من هذا الكتاب أيضا، وهل تذكر مجازر القمريين بحق الشمسيين ؟ أيضا من هنا،

ذات مرة حدثت ثورة لكنها أخمدت بعد ذلك، إنها من هذا الكتاب، وحتى إخمادها كان من هذا الكتاب، المخدرات التي تدخل إلى البلد، والأماكن التي تباع منها، المعتمدون الذين يروجون لهذه البضائع،

رؤوس الهرم الذين يتاجرون بالسلاح، كل ما هو محظور، من صنع هذا الكتاب، التنظيمات الصحراوية يتم التحكم بها من هذا الكتاب، الحروب المقرر إقامتها ثلاث، كلها حروب أهلية، يخططون للمستقبل البعيد، لحرب استنزافية تدوم عشر سنوات، بعدها ستكون برية ومن ثم تعود استنزافية، وكل هذه الأمور هي من صنع هذا الكتاب،

قال خليل مستغربا : من وراء هذا الكتاب؟ وكيف تنجح خططهم؟ أليس فيهم خائن يفسد هذه المخططات كلها؟

أجابه أبو نعمان: الانتهازية وراء كل هذه المعمعة،

في الغالب لأنهم يحكمون بالشر؛ لذلك فهم ينجحون في إدارة مخططاتهم، فهم صبورون، لديهم سمة التأني والانتظار، فثمرة الحسم تكون بعد عشرات السنين، إن هذا الكتاب مضى على تأليفه الكثير من السنوات، حتى ظهر بهذا الجشع الدامي، فغايتهم تكمن بالإرهاب لا بالسلام، السلام لا يجلب الغايات الكبيرة، ولا يأتي بالمحظور،

قال خليل: ماذا لو أوقفنا قدوسا؟ هل سنغير شيئا؟

أجابه أبو نعمان: إننا مقبلون على مساعدة شخص

أصيب بالمرض الخبيث، سرطان الدم، لنحاول معه بمزيد من الجرعات الكيميائية، لعل أحدها تكون نافعة، ما أقصده، هو إننا حتى وإن قتلنا قدوسا، سيحل محله ألف قدوس، لكن سيتم تقليص عدد السيئين على الأرض بإزالة واحد من أخطر السفاحين، وهذا سيغير شيئا بسيطا، لكن بالنهاية هو تغيير، ومتى ما كان التغيير خاص، هناك تغيير عام، سنقتل الخاص، ونعمل على مجابهة العام قدر المستطاع، لا تقلق، ستكون رحلة بطولية لك لو تحققت، مشتل من الدم، زرع من الأشجار

الكبيرة، اشجار الموت، لا توجد اشجار إلا هذه الأشجار، سندخل إلى هذا المشتل يوم غد، بأسواط كبيرة، ذات أشفار حادة، لتقطيع تلك الأشجار، وبعد تقطيعها سنحرقها، كي لا تثمر مرة أخرى، انسى مسألة السرطان، لم أوفق في إيصال الفكرة، فكر معي الآن وضع فكرة الأشجار برأسك، أريدك أن تكون فحاما من الدرجة الأولى، فصناعة الفحم ليست سهلة،

أجابه خليل: لا عليك، ولدت لأكون فحاما، سأدخل ذلك المشتل، واجلب لك الفحم الأصلي، سنبيعه من أجل الجرع الكيمياوية، سيشفى ذلك العليل، حتى وإن

زدنا سنين حياته، ستكون بحد ذاتها محاولة تاريخية، لعلهم يكملون بعدنا إذا حدث لنا سوءا،

قال أبو نعمان: سلمت يا بني، مهما كان الشر قويا سيلقى منافسا رغم ضعفه لكنه يحاول، الخير منذ الأزل يحاول، والمحاولة بحد ذاتها مقاومة، ومتى ما وجدت المقاومة لن يكون هناك رابح،

قال خليل: ما رأيك بالشعب الحمائمي ؟ هل ما يحدث لهم هو ما جنت أفعالهم بالسنين الماضية أم إنهم مظلومون؟

قال أبو نعمان : الشعوب التي تمجد طواغيتها في فترة حكمهم ستلتهمهم ذات يوم؛ لذلك فهي لن تفلح،

فهكذا شعوب تعشق القوي غير العادل وتفضله على الضعيف العادل ؛ لأنها تحتقر من يحقق السلام دون حروب، وتعتبره عميلا للدول العظمى، حتى وإن لم يكن عميلا،!

ودليل كلامي ما يحدث للحمائم اليوم، بالأمس كان السفاح بنظرهم قوي وجبار أودى الحمائم إلى دهاليز الظلام وعتمة الحروب الوحشة، رغم ذلك فأن ثلاثة عقود كان الحمائمي يصيح بشتى أنواع التبجيلات التي تشعر الشخص وكأنه إلها، وعند سقوطه أعدموه، وقالوا أنه طاغية عصره. فأين كانت النداءات والتبجيلات ! صنعوا آلهة لهم ومن ثمة أكلوها،

إن شعوبنا القومية عامة والشعب الحمائمي خاصة يرفض الدكتاتورية، وينادي بالديمقراطية التي لا وجود لها أساسا، أوهمتهم المستبدة بالديمقراطية، ساومتهم على أن الذهب مقابل الحرية، أخذت الذب ولم تعطهم الحرية التي يبحثون عنها. إنهم سذج

ولأنهم سيئون يسلط الله عليهم الديكتاتور لحكمهم دائما، هذا ما نراه طوال التاريخ لحكام هذا البلد الدموي،

قال خليل: ما علة هذه الشعوب؟ هل بتقسيمها أم بوحدتها ؟ أنا أرى أن الشعوب لا ترضى إلا بالدكتاتوري، لأنه ينتعلها فتظل متعصبة له، وبعد سقوطه تنعته بالظالم، إن الشعوب تحتاج شخصا قامعا ظالما سفاحا، تضعه واجهة لها، تختبأ وراء دكتاتوريته حتى تموت، كل القادة الديكتاتوريين ماتوا وما مات ذكراهم، عكس أقرانهم من الديمقراطيين الباحثين عن السلام، يظل السؤال عالقا بذهني، ما علة هكذا طبقة من الشعوب ؟

قال أبو نعمان : ليست علة، إنما هي علتين بين فئتين صنعتهما البلاد العظمى : الأولى تحس بالضعف، لقلة هذه البلدان بعد التقسيم، والثانية منافقة ومتلونة تمجد وتبجل للأقوى دائما، امتزجت الفئتين معا، ونتاج هذا تكونت علة أزلية بداخل كل شعب وهي التقسيم

أن علتها بالتقسيم، كان على الشعوب ألا تتقسم، لقد احنت رأسها للغرب وانتهى كل شيء، انتهى مصيرنا حينما وقع الأول و وافقه الثاني، وشهد لهما قوميو الجزيرة، قطرة الحبر الأحمر تلك، كانت آخر قطرة وجب إيقافها، أما حبر اليوم فهو لا يغير شيئا، قضي الأمر، تحققت خطط المستبدة، وتوغلت الانتهازية توغلا عظيما، وانتهى كل شيء...

الجزء الثاني

أجمع زياني حراسه واتجهوا نحو المستودع القابع في وسط العاصمة، كان هذا المستودع ضخماً، يتم فيه تقطيع شتى أنواع الحيوانات، فوصلت شاحنات التوصيل، التي كانت تحمل ألفي حمار، ومثلها تحوي ألفي ثور، كان زياني قد استأجر عمالاً من الطبقات الفقيرة شريطة أن يعملوا بسرية وإلا فالقتل أو التدمير، انزلوا حملهم ثوراً بعد ثور، وحماراً بعد حمار وبدأ الجزارون بنحر رؤوسهم وتقطيعهن إلى جزيئات صغيرة وسط مجزرة من الدماء المتدفق داخل المستودع، ثم مزجوهن ببعض وعادوا لتحميلهن ثانية، لكي يتم توزيعهن على جميع المدن، فكان ما إن تمتلأ الشاحنة الأولى حتى يتم بيعها عن طريق المولين في كل بقاع الحمائم، كانت ثمة قلة من الشعب تشبههم، إذ أنهم يستمتعون في تخريب بلادهم وتمزيقه، ربما هي عادة الذين لم يحسوا بالولاء لبلدانهم، في حين أن غالبية الشعب العاجزة كانت ضدهم دون قوة، دون صدى، نحن عاجزون لدرجة أننا نستنجد بتفسير الأحلام لكي نرى ما إذا سنلاقي شراً أم خيراً، ما أتعس العيش على الأحلام، وما أظلم أن تقف عاجزاً أمام الظلم دون حراك.

دعا السيد قدوس أعضاءه للاحتفال بتأسيس الحزبين بحضور السيد الانتهازي مخلونيش المسؤول الأعلى بين الغرفة وعاصمة الدولة الانتهازية، بقصره وسط العاصمة

وحضر الاجتماع كل من : باشاوي، طبلشاني، الأعرج بهشراني، زياني، طالوت، وحالوبي زعيم التنظيم، تنظيم العصابة الصحراوية، جلس السيد مخلونيش متصدرا المجلس بقرب قدوس، حيث أنه وضع عويناته وأشعل سيجارته وشق خطابه قائلا : السادة الكرام، إنكم تبلون بلاء حسنا، ونحن فخورون بكم، وقد تم الاتفاق بيني وبين السيد قدوس على اجتياح المناطق الشمسية كي نقصيهم من الظهور، ونسيطر عليها تماما، فكانت فكرتنا هي أن نقحم الطائفتين ببعضهما، حرب أهلية، ستبدأ بالجبهات ومن ثم تأخذ شكلا آخر، شكل الحرب غير الصريحة، تبدأ بطبلشاني زعيم الحزب القمري الذي سيجتاح أهم المحافظات الشمسية، فيعتقل كل من يقف أمامه، ويقتل شبابها ويشردهم، الذين سينضمون لحزب الأعرج، الذي سيحمل اسم الحزب الشمسي بقيادة عز الدين وهو شخص طائفي، يقف وراء جرائم كثيرة، وقد تم انضمامه للعصابة الصحراوية لكنه خرج منها، سيلقى الحزب القمري مجابهة شرسة من قبل الحزب الشمسي،

ستوكلان عليهما قائدين من الطائفة نفسها، ومن ثم تقودانها بعيدا عن الأنظار، رب سائل منكم يسأل نفسه الآن، ما فائدة الحرب! حسنا، سأجيب عن هذا السؤال، المنتصر الوحيد من هذه الحرب هو نحن، نحن فقط، فالأموال هنا طائلة، علينا أن نضربهما ببعضهما لئلا يتفرغا، فيطالبان بحقوقهما،

سيسير البلد نحو المجهول، ثلثه سيهاجر، والثلث الآخر

سيموت بالحرب، أما الثلث الباقي فسينشأ في ظل الحقد الكراهية والبغض لبعضهما، عندها سيطالب الشعب بالسلام دون غيره، سيرضى بالجهل، ويعم فيه الفساد، ويكثر التسول، سيتحول إلى جحيم، نتائج الحرب ستظهر بعد سنين قليلة، وكلها تؤول بسيطرتنا المطلقة على البلد

تنحنح قدوس وقال : غدا ستبدأ الحرب، لا مناص عن يوم تأجيلها، وقبل أن يبدؤوا بالاحتفال، وجه مخلونيش سؤالا لبهشراني، إذ قال له: هل تجد صعوبة بتهريب المخدرات؟

أجابه: نعم يا سيد، أجدها صعبة بالحمرية فقط، لأنها طريقنا الشهير في التعامل مع الانتهازية، أما بالمينائية وباق المناطق فلا نجد صعوبة بالغة،

من الأفضل أن نسيطر على الشمسيين حتى يكون خطنا التهريبي سالكا، ونتحرك براحة تامة،

قهقه مخلونيش ورشف من كأسه رشفة وقال وهو يقترب من الشمالة البالغة : أعدك منذ يوم غد سيصبح طريقا عاما، كأي طريق للتهريب، فقاما رئيسا الحزبين وقالا للغرفة بلغة المزح : نحن أولى بفتح قنينتي الخمر، فالحفلة بأكملها تعود لنا، فعلا الضحك داخل أرجاء القصر.. فقاما وتشابكا ثم مسكا بأطراف قنينة الشمبانيا، كعادتهم بإظهار سطوتهم وبدأوا بهزها، يمينا وشمالا ثم فتحا قفلها لينسكب منها الخمر بغزارة، انتهى الحفل حينها بالشمالة المفرطة.. وفي اليوم التالي افتتحا خليل وباشاوي مكتبهما الجديد بقيادة خليل المكلف من قبل أبي نعمان، لإدارة وضبط الجمارك بين المحافظات الكبرى والشمسية على وجه خاص، جرى خلاله اجتماع قصير بين باشاوي وخليل إذ تحدثا فيه عن الأمور المهمة وأعطى الصلاحية لخليل بتكليف جنود أكفاء لمسك مداخل المحافظات، كان الاجتماع يشمل خليلا واورفان وباشاوي،

وبعدما أنهى تعليقاته وتعليماته بكيفية إدارة العمل غادر باشاوي لمنزله بالعاصمة، جلس خليل بكرسيه الفخم ومد ظهره إلى الخلف، بينما جلس اورفان بأحد الكرسيين الملاصقين للمكتب، ترنم خليل وقال لـ

اورفان : العاصمة لك، أريد منك شخصا كفؤا أكلفه بقيادة العمل ومتابعته، على أن يجلب معه أشخاصا يقيمون بالمحافظات التي نأمرهم بالإقامة فيها، هل تعرف هكذا أشخاصا؟

أمسك اورفان بكوب الماء ورشف منه ثم أنزل الكوب وأجاب : لا، لا أعرف، لكن أعرف صاحب مقهى، كهل في الخمسين من عمره، يعرف خبايا البلدة، أظن بأنه سيطلعنا على أسماء تلزمنا،

قام خليل من مكانه مستعجلا، وقال: لنذهب إليه حالا،

فركب اورفان بالسيارة، وجنبه خليل، فراح يسير نحو محلته القديمة، التي فارقها بالأشهر الأخيرة، حتى وصلا إلى مقهى الحارة الكبير، كان مقهى يجتمع فيه لفيف من الشيوخ والكهلة، بعضهم يتعاطى النيكوتين، وأخرين يتعاطون النارجيلة، ومراعاة لسن المترددين عليه افتتح معها مقهى، يقدم فيه الشاي والقهوة، جلسا اورفان وخليل على طاولة بالمقدمة، ونادى اورفان على عامل المقهى، وقال له: أين العكيد؟، قال العامل: موجود بالطابق العلوي، قال له: أريد رؤيته، أخبره بأن ثمة شخصين يريدان الحديث معه، غاب العامل للحظات قليلة، فنزل يجهز القهوة والشاي، فتبعه العكيد وألقى التحية على الشخصين وجلس بقربهم، أخبره اورفان متوددا قائلا: عماه، أنا من

البلدة، ابن فلان، أسكن قريبا من هنا، احتجت إلى عمال بصفة حراس متابعين بالمحافظات المتوسطة، فخطرت ببالي، فهنا يجتمع عندك العديد من عاطلي العمل، هل لك أن تعطينا أسماء أو تدلنا عليهم، مسك العكيد شاربه وراح يمسد به، ثم قال: لدي الكثير، لا أعرف ما هو عملكم، لكنني سأطلعكم على عنوانهم وأسماءهم، اتفقوا معهم، فأنا فاعل للخير لا أكثر، فقام من مجلسه وغاب لوهلة من الزمن وجلب ورقة تحوي اسما وعنوانه، وقال : هذا الشخص قريب من هنا، عاطل عن العمل، ومدمن كحول، جربته ذات يوم، يبدو أمينا، الحياة اثقلت كاهله، لعله يستفيد منكم ويفيدكم، شربا قهوتهم وتشكرا من العكيد وغادرا باتجاه العنوان الذي يبعد بحدود ال700 مترا من المقهى،

وصلوا إلى العنوان، كان بيت سقفه من الحديد المصدأ، يتهرأ عليهم الماء شتاء، ويلفحهم الهواء الساخن صيفا، نزل اورفان فطرق الباب ثم تراجع ثلاث خطوات، فخرج عليه شخص في الثلاثين من عمره، ذو ملابس متسخة وممزقة، رائحة الخمر تفوح منه، تقتل حتى من يقترب منه، ثمل وعاجز حتى على أن يفتح عينيه، وقال بصوت غاضب: أنا لا أحد يزورني، من أنت؟، قال اورفان له: اهدأ، أبحث عن عامل وأبلغني عكيد المقهى بأنك تبحث عن عمل، تلكأ بكلامه ونفض عن

نفسه ومد يده نحو اورفان وقال: نعم، نعم، فأنا أبحث عن عمل، معك سعدون _بلطجة_، تفضلوا لنجلس بالداخل، ثم التفت نحو بيته، فغمغم قائلا: آسف، البيت غير صالح للجلوس، للأشخاص الذين بمقامكم، فقال اورفان: كف عن هذا الهراء يا سعدون، كلنا سواء، تعال واركب معنا لنطلعك على طبيعة العمل، ركب من الخلف، فسلم على خليل، وقال اورفان له: هذا خليل زعيم عملنا، وشرح له كيفية إدارة عمل الجمارك، فوافق على الفور، ثم طلب اورفان منه أن يجلب معه شخصين أمينين، كفؤين، وأردف قائلا: سنجهز لكم بيوتا ومأكلا ومشربا، ومرتبا شهريا محترما، يصل إلى 1500 دولار، ثم التفت إليه ودلس بجيبه المزق 300 دولار، اندهش سعدون مما سمعه ورآه، فمسك وجه اورفان بكلتا يديه المتسختين فوضع قبلة على جبينه ثم أراد أن يقبل يده فأزاحها اورفان، وقال له: توكل على الله، والآن ابقى جاهزا حتى نجهز لكم البيوت ومن ثم نبلغكم بها، تشكر منهم ونزل عن السيارة ثم عادا إلى مكتبهم الذي يبعد حوالي 5 اميالا...

تحرك طبلشاني بجيش حزبه الجديد

الذي أسسه طيلة العام الماضي بخلسة، من العاصمة إلى القمحية للسيطرة على صحراءها كي تكون مستودعا ضخما يتم تخبأة المعادن والمحظورات فيها،

كان جيشا عقائديا، درس على القتل والتدمير، زرعوا بداخلهم الحقد والمقت والكراهية، فصاروا أكثر وحشية، أكثر دمارا، جلهم من المتعاطين، غير المتعلمين، كانت الساعة السادسة عصرا، في حين أن جيش الأعرج لم يكن جاهزا، كانت الخطة أن يتوغل طبلشاني إلى الداخل الذي سيلقى مجابهة شرسة من عز الدين القائد المكلف من قبل الأعرج الذي يدير الجيش بالخفاء، وصلوا على أعقاب المحافظة فبدأوا يرمون على كل من كان أمامهم لبث الرعب بداخل المواطنين، ويعتقلون من هو فوق الثامنة عشر، توغلوا بحدود ال20 ميلا عمقا، فتصدى لهم عز الدين عند منطقة الجسور، فصار يأمر شيوخ المعابد أن ينادوا بمكبرات المعبد للجهاد ضد من دخل أراضيهم، وكان يشاغلهم بالعتاد الذي يملكه، كان عتاد كافيا لليلة واحدة فقط، فبدأ جيش الطبلشاني يرمونهم بوابل من الرصاص الثقيل والخفيف، في حين كان عزالدين يرد عليهم بالعتاد الخفيف، ويرميهم بالثقيل بين الحين والحين

هرعت الناس وأصابها الذعور والقلق، فنزحت جل العوائل بسياراته خوفا خارج المحافظة من الجهة الاخرى، خشية أن يعتقل أبناءها، ومنهم من استجاب لنداء المعابد فجاء بسلاحه نحو منطقة الجسور، تبادلوا الرصاص الغفير حتى حلول المساء الدامس،

فصارت الإطلاقات أقل مما كانت عليه،

كانت الأخبار تصل للغرفة بالتفصيل الممل، فاتصل قدوس بالحالوبي، زعيم التنظيم الصحراوية، وقال له: مرحبا حالوبي، أرسل أربع سيارات مفخخات، اثنتين لكلتا الجهتين، تواصل مع طبلشاني والأعرج ليطلعاك على ثغرة تمر بها نحوهم دون أن يروك، واقتلوا عز الدين كي يتوغل طبلشاني إلى الداخل، فلبى حالوبي أوامر سيده، ثم عاود قدوس الاتصال بالاعرج وأخبره بأن يطلع حالوبي على مكان تواجد عز الدين وليطلعه على ثغرة العبور، اتصل الأعرج بشاب كان يعمل لصالح الغرفة، وأخبره بأن يجثو بمكان حتى وصول سيارتين من خلف الجيش باتجاه الصحراء، فأمره بأن يضيء لهم بضوء خافت حتى يتمكنوا من معرفة الثغرة، فاتصل الحالوبي بالطبلشاني وأمره بأن يبتعد لئلا تصيبه شظايا، فتراجع بمؤخرة الجيش، في حين وضع له شابا بقرب الثغرة المؤدية لجيش الطبلشاني كما فعل الأعرج

فجهز السيارات والجنود، الذين كانوا منكوشي الشعر، وعيونهم بارزة تشي بالدموية، تلى لهم حالوبي بعض الأحاديث والآيات التي تبعث بالروح الطمأنينة، وتسكن الجوارح، وتقضي على الشكوك، فاشتاطوا حماسا، وعزيمة

وكان أصحابهم من التنظيم نفسه يهللون وراءهم ويبكون، فلبسوا أحزمتهم الناسفة، وركبوا بسياراتهم التي امتلأت بالحصى وقطع الزجاج المهشم، ولوحوا بأيديهم ثم انطلقوا نحو الجيشين اللذين كانا يبعدان عنه بحدود النصف ساعة،

فافترقا ثم اتجهت اثنتين من السيارات الأربع دون ضوء نحو الثغرة المذكورة، فصار ذلك الشاب يشغل الضوء ثم يطفئه، حتى اقتربوا أكثر وأكثر، كانا يسيران ببطء، كانت الجبهة مشغولة بتبادل إطلاق النار، ومثل توغل هاتين السيارتين فقد توغلتا تلكما السيارتين باتجاه جيش الأعرج الذي يقوده عز الدين، كان جيش الطبلشاني يرمي بكثافة قصوى نحو جهة العدو، فتوغلت السيارة الأولى باتجاه أكبر تجمع لجنود العقائد فانفجرت بواسطة، ثم بالسرعة نفسها تبعه صاحبه وانفجر بمكان آخر، يقابل انفجار صاحبه الأول

كانت الاشلاء تتطاير، والأجساد تحترق، فيموج بعضهم على الآخر من هول منظر الأجساد المحترقة، التي تبحث عما يطفئها ويضمد جرحها، وبينما كان جيش الأعرج مذهولا لما رآه من منظر بشع اتجاه عدوه، وانشغل بالتحديق نحوه،

اندلست السيارة الأولى نحوهم حتى وصلت بمنتصفهم، لكنهم غير مدركين، بل لم يتسن لهم الإدراك فلحقه صاحبه، كانوا شاردين، وبرأسهم تدور ألف فكرة، من ذا الذي فعل تلك الفعلة بعدوهم؟ هل أن الدولة جاءت فزعة لهم، أم أن المستبدة أحست بانخداش كبرياءها؟ وبين فكرة لم يكتب لها النضوج، وآراء لم تتفق بعد، انفجر الإثنان بالطريقة ذاتها، والقسوة اللامحدودة، فكيف للجسم البشري أن يحرق مثل الحيون المباح للأكل؟

حيث الأجسام المهشمة المهترئة الممزقة، المحترقة، فأحد هؤلاء المفجوعين يركض مسرعا نحو التراب والنار تأكل جسده فيهيل بكلتا كفيه بالتراب على جسمه لكن جروحه لا تهدأ، فينغمس وسط كتلة من التراب الكثيف، فيقلب نفسه

دون جدوى، فينساب اللحم مع التراب النازل نحو الأرض، ويقتلع من جذوره الذي بات مفتتتا،

مع صياح عال لايكفي لخروج الطاقة السلبية الكامنة داخله مرة واحدة هل كانت تدرك النار أن الجسمين المحترقين للتو في الجبهتين المختلفتين كانا متناحرين باسم الدين، المذهب، الطائفة؟ إن الحروب الطائفية يعود نفعها على من أثارها، وهو في الغالب لا يعترف بكلتا المذهبين، لربما يكون ملحدا أو لا يتبع أي دين، فتصير الضحية الكبرى هي الشعب، الشعب فقط، لأن الشعوب السذج تستحق ما يحصل لها من حروب، وهذا ما حل بالحمائم، شعب ساذج، وحكومة طائفية عميلة، فأودت بها نحو الجحيم...

انتهت حصيلة هذه الحرب بمئتي قتيل من الجبهتين الساذجتين، ومائة وخمسين فقيد من الشمسيين، وقتل بهذه الغارة زعيم الشمسيين عز الدين، فبعد انفجار السيارتان الملغمتان انسحب مواطنو المحافظة، فدخلت قوات طبلشاني إلى أرجاء المحافظة، وافتتحت لها مكاتبا للحزب، تدعو فيها أهالي المحافظة للانضمام، ودخلت المنطقة إنذار الطوارئ، وساءت أوضاعها، فصار مواطنوها يوصدون أبواب الدار قبل المغيب، خشية أن يغار عليهم مافيات الحزب الشرير، بينما شهدت المناطق الشمسية الأخرى توغلا عظيما لقوات طبلشاني دون أية مقاومة تذكر ففتحوا بها مكاتبا للحزب، وربطوها مع مكاتب حزب هذه

المحافظة الحدودية التي صارت خطا تهريبياً لكافة المحظورات، انتشت الغرفة بهذه الحرب، في حين أن جبهة القتال في المحافظة الحمرية لم تواجه صعوبة، حيث أن المحافظةهناك خليط من الطائفتين، فانتفض القمريون على أقرانهم وإخوانهم الشمسيين، واستقبلوا ذلك الحزب بالتبجيل ونداءات الترحيب، وحرضوا على قتل كل من لم ينتم لهم، لذا فقد أعد أحد أهم الطرق التجارية بين الحمائم والانتهازية، فهجروا كل من كان ضدهم وقتلوهم، وشردوا الكثير، لذا فالدراسات تقول: أن قمريين الحمرية هم أبشع القمريين بالبلد، فهم مدفوعون بشكل واضح، لكنهم عمي لا يبصرون، لقد سيطرت الأحزاب على المحافظة القمحية، وجعلوا صحراءها مستودع لكافة المحظورات التي يتاجرون بها، ومنها إلى العاصمة، ثم الحمرية ولكافة المناطق وبالعكس،، وصارت تهرب المخدرات من الانتهازية عبر الحمرية ومنها إلى العاصمة وإلى المحافظات الحمائمية والعالم كافة، فيما وظف خليل سعدون "بلطجة" بإدارة أعمال الجمارك، حيث مضى أسبوع واحد على توظيفه، كان تذمر التجار والشارع الحمائمي يزداد يوما بعد يوم، ويلقى إستجابة كبرى وخطيرة لخطة قدوس التي مفادها أن يتم الضغط على الشعب كي يثوروا ضد الحكومة

العاجزة عن ردع مافياته، حتى يسهل عليه الالتفاف حول السلطة، خاصة بعدما سيطر على المناطق الشمسية بالعنف والقوة اللازمتين، وبعد مرور أسبوعان على سيطرته المطلقة على جميع المحافظات الحمائمية، وامتلاكه أحد أخطر طرق التهريب التي تدر أرباحا طائلة، نفذ بهشراني مسؤول تهريب المخدرات بداخل الغرفة عملية كبرى، قدرت ب50 مليون دولار، ففي ليلة الأربعاء وفي الساعة الثانية عشر منتصف الليل، اتصل بهشراني بالحالوبي، واتفقا على أن تصل البضاعة من الانتهازية إلى الحمرية ثم إلى العاصمة ومن الأخيرة إلى مستودعاتهم في القمحية حتى مرورها إلى مموليها بالعالم أجمع،

كان بهشراني قد وصل مبكرا، تحديدا في الساعة التاسعة مساء، إلى الحمرية وقبل أن تدق الساعة أجراسها، سارا معا بموكب مؤلف من ست سيارات، عبر طرق وعرة، كان الموكب بحماية العصابة الصحراوية التي بلغت من الغرفة فعملت على حمايتهم، بالانتشار الكثيف وسط منطقة التسليم،

استقلوا خطا وعرا، كانت الشاحنة التي تحمل البضاعة مستقرة بين الدغل والشوك الكثيفين، فتم التسليم بين بهشراني وبين تاجر الدولة الانتهازية بغضون عشر دقائق، ثم عاودوا أدراجهم إلى عمق المدينة

الحمرية التي كانت تحت جبروت طبلشاني ومافيات الغرفة، ومنها إلى العاصمة بمركز إيداع الغرفة، المحاط بسياج ضخم، وبحماية مشددة وكثيفة، التي تمنع الطائر أن لا يحلق فوق سمائها، كانوا التجار المحليين ينتظرون بضاعتهم، فبدأوا بتحميلها في الساعة السادسة صباحا، حينها لم يتبق سوى بضاعة التجار العالميين ، التي أخذت فيما بعد بكل سهولة وسلاسة إلى مستودعها بصحراء القمحية، الأمور هنا معقدة جدا، معقدة إلى الحد الذي يجعل من المرء أن يقتل نفسه حتى يحميها من بطش هذه العصابة الضالة،

فعشرات الألاف مصابين بأمراض نفسية مزمنة، سببها ضغط الأحزاب عليهم ومساومتهم على أموالها، بل وصل الأمر أن يساومك على عضوك البشري كما في حادثة اللاتين مع قدوس، وبينما كان قدوس يرتاع آمنا بقصره اللعين وصل السيد مخلونيش مع وفد لاتين بقيادته، وهم من صفوة التجار العضوية بالعالم، رحب قدوس بهم ترحيبا ساخنا مبجلا، فجلسوا متصدرين مجلسه، وبعدما قضيت كل مراسيم السلام والمصافحة الغادرة شق السيد الانتهازي، ذو الشعر الأبيض الكثيف المغطى بقبعة لاتينية، أملس الوجه، كلامه قائلا: سيد قدوس، لم يتسن لي الوقت الكافي لأشرح لك عن سبب زيارتنا لك، هؤلاء هم

تجار الأعضاء البشرية اللاتينية، يودون أن يوقعوا معك عقدا طويل الأمد وبموجب قانوني، فقد كلفت من عاصمة الانتهازية أن أنقل لك كلامها التي أعربت فيه عن سرورها من توطيد العلاقة بينها وبين الأصدقاء اللاتين، فأخرج من جيبه ورقة تحمل مراسيم العقد الذي ختم عليه ختما يعود للانتهازية بالموافقة، وأردف قائلا : ستوقع أسفل الورقة هذه في حال أردت العمل معهم، فغمغم قدوس وقال : لطالما الانتهازية ابدت رأيها بالعمل، فلا مانع من العمل معهم

تبسم مخلونيش وأزاح قبعته وبدأ يمسد بشعره وعيناه تتجهان نحو القبعة التي أمسكها بيده اليسرى وقال: كم معتقل لديك؟ نريد أن نخلص العالم من المتطرفين، فأجابه قدوس بلغة التقريب : بحدود العشرة آلاف، أعاد القبعة إلى شعره وقال: سنوقع على ثلاثة ألاف، فأعطى الورقة اللعينة لقدوس، فوقع بحبره اللعين على آلاف الأروح بدم بارد، واتفقوا على أن يكون يوم غد في الساعة السادسة مساء هو يوم نقلهم، ثم قاموا جميعا وصافحوه مصافحة الشركاء الوديدين، ثم انصرفوا، قاصدين إحدى منازل مخلونيش المهداة من قدوس وسط العاصمة...

التقى خليل بأبي نعمان الذي كان مغتاظا من الحرب الأهلية التي يمارسونها الغرفة، وقال له بصوت غاضب: لقد سبقونا الأشرار بخطوة، يجب علينا الهرولة للإلحاق بهم، يجب أن نكد على جنودك بالضغط على المواطنين حتى يتذمروا كي ينتبه لك قدوس، فهو محب للأقوياء، وإلا فلن نصل إليهم قط، حدق خليل حائرا لوهلة من الزمن وقال : لقد عملت ما بوسعي وزيادة، الأمر صعب نوعا ما،

تفكر أبو نعمان بفكرة تقربهم من الغرفة أكثر، فراح شاردا يسير وسط المنزل، وخطرت بباله فكرة، فنادى على خليل وأردف قائلا : لدي صديق سابق يعمل بالصحافة، اسمه عباس، سأعرض عليه مبلغا ماليا مقابل أن يصور لأحد جنودك فيديو وهو يساوم التجار ويذلهم، تفاجأ خليل ورحب بالفكرة، قائلا: نعم، ربما هي الخطة الوحيدة لأن يسأل قدوس عن مسؤول تلك العملية، ممتاز فكرة رائعة، بل تبدو رائعة، هز رأسه أبو نعمان، وأجرى عدة اتصالات حتى استطاع أن يحصل على رقم هاتف الصحفي، فهاتفه حالا

وبدأ اتصاله بالتعريف عن نفسه وتذكير الصحفي بلحظات لقاءاتهم وتواريخها، فاستذكرها ورحب به كثيرا، فطلب رؤيته لأن يعرض عليه

عرضا مقابل أن يعطيه مالا غفيرا، فتأجل الإتفاق بطلب من الصحفي الذي أراد أن يعرف ماهية مهمته، اتفقا على اللقاء فأغلق هاتفه،

وعند حلول ساعة الموت والدمار، سبق قدوس شركاءه إلى سجن البحر لتجهيز المعتقلين الذين تم بيعهم، كان دكتور (محمد الفيزيائي) دكتوراة بالفيزياء، وتدريسي بجامعة العاصمة، كان أحد الذين يبعثون بداخل السجناء الأمل من خلال دروسه الثقافية والتوعوية، يمتاز بشخصية فذة ومحبوبة لدى السجناء، وصل قدوس إلى المعتقل ودخل عليهم بحماية مشددة وقال لهم: لقد حان وقت مغادرتكم،

فعلا الصوت بداخل السجن فرحا وسرورا، فصار هذا يحتضن صاحبه، ويقبل ذاك الذي بقربه، وبين تلك الضجة التي حصلت، والفرح الوهمي الذي لم يكتب له المكوث طويلا، أشار قدوس بيده لإسكات حشود السجناء الغفيرة، وتابع كلامه قائلا : ستذهبون لعاصمة الدولة الانتهازية لتدقيق معلوماتكم ومن بعدها فأنتم طلقاء، فانتفض الفيزيائي ووقف على قدميه وقال: أيها السيد، لم نذهب للانتهازية؟ لا أدري ما الرابط بيننا وبينهم! أولسنا حمائمين ؟ فاشتاط قدوس غضبا من سؤال هذا المعتقل، فقال له : من أنت لتحدثني؟ اجابه الفيزيائي بعفوية: مواطن مظلوم، قد بيع من قبل العملاء أمثالك

أيها الخائن اللعين، فاتجهت أنظار السجن نحوه، محدقين تحديقا يشي بالجبن والذل والهوان، قهقه قدوس للحظات قليلة ثم أخرج مسدسه وراح يسير نحوه وهو يطلق الرصاص عليه حتى لقي حتفه وسط غزارة كثيفة للدماء تجري من تحته، فاختفى ذلك الفرح الدامي، ما أصعب أن يكون فرحك وهمي، ثم مشى حتى وصل فوق جثته التي تلفظ أنفاسها الأخيرة و قال بغضب شديد : كان من المفترض أن لا أقتلك لكنك تفوهت بكلمات تدعو للقتل، كان يجب أن أقطع لسانك بدل قتلك، لأنني بقتلك خسرت بحدود ال50 ألف دولار وهذا ما يجعلني غاضبا، ثم أمر جنوده بأعدادهم، كان مخلونيش وتجاره اللاتين قد وصلوا بشاحنات مكيفة، تحوي العدد المتفق عليه، فبدأوا بتصعيدهم واحدا تلو الآخر، بعدما كبلوا أيديهم وأرجلهم، كانت تلك اللحظات هي الأخيرة ببلدهم الذي سيغادرونه بأبشع المغادرات التي عرفها التاريخ، وربما أسوأ ما توصل إليه الطب هو أن ينقل الأعضاء البشرية من شخص لآخر،

كان يعتريهم البكاء الروحي، وتلمح بهم لحظة العجز، ما أتعس أن يكون الإنسان عاجزا، وتكون أقداره بأياد مجرمة

كانوا مطأطأين رؤوسهم، ذلا وخذلانا، فقد خذلتهم أحلامهم التي كانت تراودهم لوهلة صغيرة، وهي تحدثهم عن حرية الخروج،عن رؤية الأهل، كانت هذه الأحلام قد تبرأت منهم فمن الخطير أن تحلم العصافير بالتحليق وهن بزنزانة صياد، جاء من رحلة صيد جائعا ولم يصد شيئا، الأمر أشبه بالإشباع لدى الانتهازيين، اكتمل عددهم وتصافح قدوس مع مخلونيش ولوح بيديه من مسافة قريبة للتجار اللاتين ثم تحركت الشاحنات نحو الحمرية ليلا عبر طرق برية وعرة، بحماية من مافيا الصحراء بقيادة الأبله حالوبي وجنوده القابعين بالحمرية وبعد مسيرة شاقة وسط الصحراء القاحلة ها هم يصلون إلى الانتهازية بأمان، وعيون الأسرى وأدعيتهم، أن لا يصلوا، أن تنشق الأرض وتبتلعهم، لكن انشقاقها من الخرافات، وبعد أن يشق الفجر علا صوت بكاء داخل الشاحنات، انفجر الجميع بالبكاء، لما رأوه من منظر يدعو للأمل الذي لا توجد له أية مساحة،

في الوقت الذي كان أبو نعمان يركض بشدة نحو الغرفة التي كل ما ركضت نحوها تكتشف بأنك ما زلت بمكانك، التقى بعباس الصحفي، وشرح له عن ماهية فكرته، وعن حزب الغرفة وشره داخل البلد، فأخبره الأخير بأنه يود أن يفعل كل ما يفضح أسرار العملاء

الذين أودوا الشعب لأن يكون أبشع شعب، كان جاهزا وحاضرا، أعد الصحفي اللوازم التي يحتاجها في التصوير، وركب مع اورفان، الذي كلف من قبل أبي نعمان، اتصلوا بسعدون "بلطجة" الذي كان قد رسم كل ما هو مطلوب وأوقف العجلات، وسط تذمر عظيم من التجار الكبار وحتى الصغار من بائعي الخضار بالمحافظة،

وفي رحلة طالت ساعة كاملة، وصلا إلى مكتب_ بلطجة_ عند مدخل القمحية واستقروا داخل كرفان مكيف معد للتصوير، فنصبوا كاميرتهم، وبدأ المشهد الحقيقي الذي يعرض كل يوم بسيطرات الحمائم دون تصوير، فأجمع "بلطجة" ذلك الرجل الملثم بلثمة سوداء، التجار جميعا

كان يجلس على كرسي واضعا قدمه اليمنى فوق اليسرى، ويخطب قائلا: ألم نبلغكم بأننا قد أجزمنا بأن لا يمر منكم أحد إلا ويدفع فاتورة العبور؟، حتى وإن كانت واسطته الرئيس نفسه، ها ؟

إنكم تسرفون بالتذمر، تندبون أسعار الجمارك كأنكم نسوة، لذلك فقد قررت أن أزيد مبلغ العبور، من مائتي دولار إلى ثلاثمائة دولار للعجلة الواحدة، هل سمعتم؟

فقالوا بلغة التلكؤ : نعم سيدي، فقال : أريد أن تجيئوا إلي بترتيب تام، كي تحصلوا على هذا البند _ وصل_ فساروا نحوه بالدفع العلني، وتمت عملية التصوير بنجاح، فركبوا شاحناتهم، وعاودوا أدراجهم إلى العاصمة وسط فرح غامر لـ اورفان، لقد افتتحوا بوابة النهاية، بوابة اللاعودة، ودخلوا في بداية النهاية.

الجزء الثالث

في صباح اليوم التالي، انتشر الفيديو بالمجلة الأشهر بدولة الحمائم، حيث نشر منه بعض صور الجندي وهو يساوم ويعذب التجار، في حين نشر على بعض القنوات التلفزيونية الشهيرة بالبلد الفيديو كاملا، وعلى إثره شن الشعب عملية مظاهرات واحتجاجات كبيرة، ضد الحكومة، حيث شارك بحدود العشرين ألفا من المواطنين المتضررين من عملية الجمارك الداخلية وجلهم كانوا يعملون في علوة الخضار أو حمالين بالأسواق التجارية الضخمة، حاملين بأيديهم عدة عبارات كانوا يرددونها بصوت جماعي، منها : لقد استبحتم دمائنا وسرقتم أموالنا وأهلكتم الحرث والنسل، إنكم تحكمون علينا بالموت البطيء، اللعنة عليكم، أخرجوا فقد بطشتم بنا،

كان باشاوي قد شاهده وتفاجأ بها، ارتعب من ردة فعل قدوس، الذي كان بالمزرعة في شمال الحمائم، فاتصل به على الفور، وكان هذا الاتصال هو نقطة تحول كبيرة في حياة خليل ومؤامرته ضد مشروع قدوس، رفع قدوس سماعة هاتفه قائلا:نعم، باشاوي، فقال باشاوي: سيد قدوس، مرحبا، كنت قد أدخلت شريكا معي مذ أن كلفتني بعمل الجمارك، كان شابا ملياردیرا وقويا، أعجبت به، لكنه اليوم ارتكب خطأ عظيما، يبدو أنه أحمق، خلت أنه سيكون جبارا، أعدك بأنني سأحل هذا الأمر عما قريب، فقاطعه قدوس بنبرة صوت تعبر عن استغرابه من كلام باشاوي فقال: عم تتكلم؟ أي أمر؟ ما الذي تتحدث عنه؟

أجاب باشاوي: يبدو أنك لم تشاهد نشرة الأخبار بعد!

فقال قدوس:لا، لم اطلع عليها إلى الآن، لكن ما الذي يجري؟

أجابه باشاوي: لقد انتشر لجنودنا في الجمارك فيديو، يظهر فيه أحدهم وهو يساوم التجار، ويعذبهم، مما أثار استياء الشعب في العاصمة، ليقوم بالتظاهر أمام مجلس القيادات العليا عشرون ألفا من المواطنين كانوا قد تضرروا. . فقاطعه قدوس وقال : مهلا، مهلا، سأتصل بك لاحقا، لأرى ماذا يجري بنفسي، فاغلق هاتفه، وراح نحو طاولة التلفاز وأخذ جهاز التحكم فضغط على زرالتشغيل،فإذا بالمظاهرات الشعبية،

بلافتاتها وعناوينها التي يبحث عنها، انتشى قدوس فرحا، وبعد جولة بين مواطني العاصمة المتظاهرين انتقل الصحفي لتشغيل الفيديو، فرأى بنفسه كمية القوة والجرأة لدى هذا الجندي الملثم وجهه برقعة سوداء، تحمل علم الحمائم واسمها، كانت الساعة العاشرة صباحا،في حين كل الأعضاء قد اتصلوا بقدوس واحدا تلو الآخر، كلهم كانوا قلقين مما حدث إلا قدوسا، كان يدرك بأن الشعب قد استاء من عدم سيطرة الحكومة على الأوضاع بداخل البلد، وبالتالي سيخرجون للتظاهر، كان يدرك أن فترة حكمه للحمائم كانت مرهونة بسقوط حكومتها بالمطالبة الشعبية،

وهذا ما يسعى إليه منذ أن سقطت الحكومة السابقة،

من ذا الذي يدرك بأن هذا الوحش وراء هذه الزعزعة؟!الحكومات الضعيفة العميلة لصالح الدول الكبرى ضد شعبها عمرها صغير، فقد حكمت على نفسها بأن يكون عمرها صغير،

حتى رئيس البلاد كان حائرا بذاك الملثم! كان يدرك بأنه يعمل لصالح المافيات "غير الحكومية" لكنه عاجز من أن يتفوه بكلمة واحدة لردعها، لأنهم سيغتالونه، فهو يدرك أنهم عملاء أيضا لدول لها مصالح بتجنيده،

فقد اتصل بكل الدول التي يعمل لصالحها، فكانت ردة فعلهم بأنهم لا يتدخلون بالأمور الداخلية، فظل وحيدا عاجزا أمام الحشود الشعبية التي كانت تهتف برحيله، لحين مجيء لحظة تصريحه في مساء نفس اليوم فأعرب عن استنكاره لهذا الأمر وأنهم سيحاسبون كل من سولت له نفسه بزعزعة الأمن وبث روح الفساد وانتهاك سيادة البلد وحرمته، فانتهى تصريحه بالاعتذار من التجار وتكريمهم بمبالغ مالية زهيدة، أقصى ما يستطيع فعله المسؤول الحمائمي هو أن يستنكر،يستنكر الأعمال الإرهابية، الفساد، القتلى،وفي نهاية كل استنكار يتوعد بمحاسبة كل المقصرين، هذه الاستنكارات نكاد أن نحفظها عن ظهر قلب، فلم تمر حادثة إلا وقد استنكروها ونكسوا الإعلام تعبيرا منهم عن لحظة الحزن التي تعتريهم، ثم ماذا ؟! ثم يعودون لممارسة ما كانوا يمارسونه، وكأن شيئا لم يحدث، ماذا لو بحثوا عن سبب الحادثة أو الجريمة التي وقعت، وتركوا الاستنكارات؟ ستكون النتيجة حينها مختلفة تماما، لكنهم لن يفعلوا عاد قدوس إلى العاصمة مساء، كان قد أبلغ الأعضاء باجتماع هام، ثم تذكر عمل ذلك الشاب ودوره القاسي الصعب في كيفية إدارة عمل الجمارك غير السهل، فحمل هاتفه واتصل بباشاوي وقال له :

مرحبا باشاوي، ذلك الشاب الذي يدير عمل الجمارك نيابة عنك هو مدعو أيضا، اجلبه معك اليوم

أومأ باشاوي برأسه وقال:حسنا، سنكون في القصر فور وصولك سالما، فأغلق هاتفه واتصل بخليل وأخبره بأن

الزعيم قد طلب حضوره، وافق خليل وانتهى الاتصال، وقف خليل ثم مشى بخطوات ثقيلة نحو الشرفة فاستدار باتجاه أبي نعمان واورفان اللذين كانا يحدقان به وينتظران منه أن يبادر بالكلام، فجلس على الكرسي المطل على الشرفة بعدما أزاحه باتجاه صاحبيه وقال:كان باشاوي على الهاتف، قال لي أن قدوسا يريدني بعد ساعة من الآن، تغيرت ملامح أبي نعمان وحدق فجأة باورفان الذي كان يبادله النظرات باستغراب شديد، ممزوج بفرح، وقال بصوت أجش : ممتاز، هذا جيد، لم لا تفرح؟ لقد كنا ننتظر هذه اللحظة منذ شهور طويلة، هيا يا خليل افعلها،

قطب خليل حاجبيه وقال: أنا سعيد لوصولنا، ولكن لدي مخاوف من أن أدنس نفسي بتلك الغرفة اللعينة، لا بأس، يبدو أنني سأتعامل مع الدم من الآن فصاعدا،

قال أبو نعمان : كن هادئا، أجبه بقدر سؤاله، سيغوص بك، سيختبرك . لكن أنا على ثقة تامة أنك ستغلبه، وإياك أن تسأله، الوقت مبكر لأن تسأله، دعه الآن،ووظف إمكانيتك العقلية والفلسفية بإقناعه، هل فهمت ؟!

هز خليل رأسه الذي كان بين يديه، وقال: حسنا، والآن سأذهب للمكتب، كي أجهز نفسي .... تصافحا مع أبي نعمان ثم غادرا المكان إلى المكتب، وبينما كانوا يجهزون أنفسهم وصل باشاوي إلى المكتب، كان غاضبا بعض الشيء لكنه تمالك نفسه لحين معرفة رأي قدوس، ركب خليل مع باشاوي وغادرا باتجاه قصر قدوس، وبقي اورفان بالمكتب، وصلوا قصره، وكان خليل شغوفا لرؤيته،فتارة تأتيه رهبة وهو ينظر لأسوار القصر، المحاط بسياج عال، وحراس كثر، وباب كبير، يشبه أبواب قصور الملوك، وتارة تعتريه لحظة فرح لوصوله وفق الخطة المرسومة، فتح باب القصر ودخلت السيارة إلى داخله، حتى وصلوا إلى مدخل القصر، ونزلوا ثم بدأوا بالدخول، كان باشاوي يسبق خليلا بخطوات قليلة، وكان قدوس ينظر من شرفة القصر إلى الأسفل حيثما دخلوا، فوقف خليل ونظر إلى الأعلى،وتبادلا النظرات للحظات قليلة، فأومأ خليل برأسه، معبرا عن المصافحة البعيدة المدى، فرد عليه قدوس

بمثل ما فعل، حتى انتبه باشاوي الذي توغل بداخل القصر فالتف ونادى عليه، ثم لحقه، فصعدا إلى مجلس الضيافة، وعند صعوده الدرج وقعت عينه على السيدة أسينات التي بادلته النظرات، لكنه لم يبد لها اهتماما كان المجلس كاملا، رحب زياني " المتحدث الرسمي لقدوس " بالضيفان وأجلسهما، ثم راح باشاوي يعرف عن خليل بأسماء المجلس، وكان حين يذكر له اسما يهز برأسه نحو الشخص المذكور اسمه، ماهي إلا دقائق قليلة حتى دخل السيد قدوس، قام الجميع تكريما له وبقي خليل بمجلسه، انتبه باشاوي له فأشار له بعينه أن يقوم، لكن هذا ما لم يحدث، استغرب الجميع مما فعله خليل، جلس قدوس ثم أمر الجميع بالجلوس، اشتاط غضبا من داخله لكنه بدا وكأنه غير مهتم، فشق حديثه قائلا :السادة الكرام، لقد أكملنا جميع المهمات، الحرب الطائفية المشتعلة، والعصابة الصحراوية الناشطة، تصدير الذهب اللزج والمخدرات، الجمارك الداخلية التي جعلت الشعب يشتاط غضبا على الحكومة أكثر وأكثر، لم يتبق لدينا شيئا مع الانتهازية، فأخذ بيده كتاب " مشتل الدم " من يدي زياني واستأنف حديثه، إذ قال: إن هذا الكتاب قد أتممنا عملنا به، وبسطنا نفوذنا، فليس علينا الآن سوى التفرج عما يحدث للحمائم من أفعال الانتهازية، وإننا قد أعددنا حربا

أزلية طاحنة بين طائفتي هذا البلد، وهذا ما يجعلنا نعيش برفاهية أفعالنا الماضية، فهذا البلد قد مات، ومهمتنا القادمة ستكون مع المستبدة، لدي لقاء قريب مع الدولة الانفراضية، ستشرع لنا كتابا جديدا نعمل به، لصالحنا ولصالحهم، مشتل الدم الجزء الرابع هل فهمتم ؟

أجابه الجميع بالرضا، ثم طرح باشاوي سؤالا عليه، قائلا: سيادة الزعيم، هل ما زالت حظوظنا عند الانتهازية كما هي، أم إننا كنا مجرد وسيلة لإكمال مشروعهم؟!

تنحنح قدوس ورشف رشفة ماء فأجاب : لا، بالتأكيد، فنحن مؤثرون عند الانتهازية، ونفوذنا باقية، وحقوقنا من ذهب الحمائم وجميع وإرداته بالحفظ والصون، الأمر فقط هو إننا سندخل صفقة أخرى مع دولة قوية أخرى، من أجل أن نبقى أقوياء، بالتالي سيصبح لدينا صديقين قويين، مما سيسهل علينا زعزعة أمن البلد والتحكم به كيفما نشاء

وبعد نهاية حديثهم أعلن قدوس عن انتهاء الاجتماع وطلب من الجميع الانصراف سوى خليل، قال بأنه يريد التعرف عليه أكثر، رحب خليل بالفكرة وانضم معه إلى الغرفة الثانية، كانت تحوي على ثلاث كراس، تنحنح قدوس وسأل خليلا سؤالا فقال له : من أنت؟ أجابه بلغة سليمة خالية من التلكؤ : أنا رجل قاس،أعيش بفضل الولاءات، ثم

صمت، حدق قدوس بوجهه لبرهة من الزمن ثم أشعل سيجارته وقال: ممتاز، إجابة واسعة،

فقال له : لأي الأسباب تريد الانضمام للغرفة؟

رد خليل:للسبب الذي يجعلني دائما أقوى، فأنا أعشق الولاءات من أجل القوة، فقال قدوس له: من الأقوى برأيك، المسامح أم المنتقم؟

أجاب خليل : برأيي المنتقم أقوى من المسامح، فالمسامح ضعيف نوعا ما، فلو أتيحت له الفرصة بالانتقام لكان قد انتقم، لكنه ضعيف عاجز عن فعل أي شيء، المنتقم أقوى على أساس أن الحق حق، والعدالة تسير دائما نحو الأقوى..

فكل قوي قادر على أخذ حقه، دون ظلم فهو عادل وقوي عكس نقيضه المسامح الذي يبقى في دوامة ضعفه...

دهس قدوس سيجارته بالمنفضة،وأخرج بقايا الدخان من أنفه واستأنف حديثه :ما هو أقصى مشاريعك في الولاءات ؟

قال خليل : أن أكون عضوا بجماعة الغرفة، ومن ثم أنضم للأخوة الفرسان .. فكل تاجر وذي نفوذ، يتمنى الانضمام لهذه المنظمة العالمية التي تسعى لتوحيد الأقوياء تحت علم واحد ورقعة واحدة،

تعجب قدوس من إجابته وراح يفكر مليا وقال : ما الذي تعرفه عن هذه المنظمة؟!

قال خليل: كل شيء، لكنني لم ألتق بأحد منهم قط

قال قدوس بصوت يسوده الغموض وبنظرات تخويفية : ها أنت تجلس مع أحدهم،

حدقا ببعضهما لبرهة زمنية قليلة، وقال خليل: لا يحق لي أن أسأل، لكن بودي أن أعرف ما إذا كنت فرسي! وكيفية التوصل لهم والدخول لعضويتهم ؟

قال قدوس : بلى، فرسي، الوصول لهم يحتاج منك المزيد من العمل، التعب، الاجتهاد، المزيد من الدم، المزيد من القسوة،

فإذا أردت الانضمام لهم عليك أن تمتلك كل هذه الصفات،

أجابه خليل: أرى بنفسي الكفء لأن أدخل الغرفة، ثم أنني مارست كل أنواع القسوة مع أعدائي، وعملي معك سيبرهن سيرتي الولائية المحفوفة بالدماء، قام قدوس من مكانه واتجه نحو ضيفه الذي قام بدوره، تصافحا وأخبره قدوس بأنه سيأخذه لجماعة الأخوة الفرسان عما قريب، قال بأنه سيعرفه على طقوسهم، وسيجلبون الكتاب الذي يحوي على خطة جديدة، ومهمة صعبة، (مشتل الدم الجزء الرابع)

ابتسم خليل ابتسامة خفيفة معبرا عن رضاه ثم استأذن فغادر القصر إلى المكتب.

مجابهة الأقوياء تحتاج إلى معرفة خفاياهم الغير واضحة من أجل أن تدعي بها لا من أجل أن تعمل بها، فبالادعاء تكسبهم، لأن الطيور تحب أن تقع على أشكالها، ولكي تصيدها عليك أن ترتدي شكلا يشبه شكلها، هذا ما يفعله خليل مع قدوس،حتى يسيطر على غرفته، كل الأعضاء يفتقرون للتفكير، هم يعيشون بفضل أموالهم التي صنعت منهم رجالا أقوياء، عدا قدوس الذي يعتبر الرجل الوحيد بالغرفة الذي يملك الدهاء والذكاء اللذين يحكمان عقله،وصل خليل إلى مكتبه واستقبله اورفان الذي كان ينتظره بفارغ الصبر وقبل أن يتحدثا اتصل بهم أبو نعمان وغادرا للقياه وبعد يومين من لقائهما، اتصل قدوس بخليل وأعلمه بالموعد الذي وعده به، موعد الذهاب للإخوة الفرسان،اتفقا على الذهاب، ثم انتهى اتصالهما، كان أبو نعمان متخوفا من تصرف خليل الفردي، فبدا وكأنه غاضب عليه على ما أبداه بليلة الاجتماع قبل يومين،وطرحه لعملية الفرسان التي كانت خارج إطار الخطة، فأبلغه بصوت أجش غاضب يسوده العصبية التي لم يعهدها خليل من أبي نعمان، إذ قال:هل تعرف خطورة الإخوة الفرسان ؟

وكيف يسيرون العالم بخططهم الطويلة اللعينة ؟ إنهم خطيرون يا ولدي، سيقتلونك ويقتلوننا، دون أن يحس بهم أحد، فالتطرق لهم سيغوص بك إلى الهاوية وسيعرضنا للخطر، ها نحن نمسك قدوس من ربطة عنقه، لكنك تصرخ عليه بصوت عال، وهذا الصوت سيجمع أولياءه علينا، نحن دخلنا بابا واضحا، علينا أن نكمله ونعرف كيف يمكننا حرقه أو اقتلاعه، يجب أن لا نفتح الأبواب المؤصدة الأخرى، ففتح باب يعني طاقة أخرى واجتهاد آخر، وتفكير وتخطيط، ونحن لا نملك سوى تفكير واحد فقط، هو التخلص من قدوس وأتباعه.. قام خليل من مكانه دون إجابة، كان يشعر بالغضب والتوتر اللازمين، وطلب من أبي نعمان أن يأذن له بقيلولة، كان يشعر بدوران حاد، وتأنيبا داخليا، يشوبهما ملل وإرهاق، فأذن له أبو نعمان بذلك..

كانت الحمائم مشتعلة على الصراعات، فالإحصائية الأخيرة تشير أن مليوني شخص قد هاجروا من البلد نتيجة الابتزاز وأغلبهم من أكفاء البلد، رؤساء جامعات، أطباء، مهندسين، وكل المتقدمين، واستقروا في المهجر وانتشلوا الدول التي يقيمون فيها نحو التفوق والتميز وبنسب تفوق الخيال،

فالدول التي لا تحترم مواهبها ولا تحتويهم يكون مصيرها الضياع والتشرد والهلاك، فيغدو الخير لمن يهتم بهم ويحتويهم، لا لمن يساومهم على أجورهم ويخطط لاغتيالهم لأسباب بائسة لا تليق بطبيب أو مهندس...

هناك جبهات قتال لأطراف طائفية مدعومة، يقاتل جنودها تحت مسمى الجهاد، فهم يسعون للجنة بطرق دموية، فالقمري يدعي الجهاد على الشمسي وكأنه زنديق، والشمسي ينادي بالجهاد ضد القمري وكأنه مرسل، وكلاهما بريء من نفسيهما، التي أعدت ودرست وصارت بهذه الوحشية، كوحشية الانتهازيين، وجبروت المستبدة.

فهذا قدوس يلتقي بأخيه الفرساني في داره، للشروع بمؤامرة جديدة تقضي بالخلاص على الحمائم،فبعدما ساعد الانتهازيين على التوغل بالبلد وجعلها نارا وفوضى، ها هو يريد للإنفراضية مكانا وحصة من الكعكة، لتبسط نفوذها داخل المنطقة كدولة عظمى،

جلس السيد ميخائيل مع قدوس لوحدهما، وقال له: فلتعلم يا قدوس، إننا راضون عنك، فما فعلته يستحق الاحترام، لقد صنعت وحشا، ينظر له العالم اليوم على أنه هو الخطر الوحيد للمنطقة، فانشغل به الإعلام، وحان وقتنا الآن لأن نبدأ بمشروعنا، مشروعنا الكبير الذي يقتضي بمد

أنبوب ذهبي من شمال الحمائم في منطقة النزاعات وصولا إلى مدينة أفيح التي تبعد كثيرا عن المنطقة الأولى ومن ثم الدخول إلى الأراضي الإنفراضية العظمى، المشروع كبير جدا، يكلف بحدود 3 مليار دولار فقط، سنمده بمحاذاة الأراضي النائية لكن يجب علينا قبل ذلك أن نشتري تلك المناطق بأسماء تجار درهميين، فقوميتنا الدرهمية مهمشة، لذلك سنغير مسار الحرب بهذه المناطق على أن لا تصل قومية الدرك ؛ وسنحميها قدر الإمكان؛ لأنهم أجازوا لنا ذلك مقابل أن تحميهم المستبدة، سنمهد الطريق لدخول الصحراويين إلى المحافظة الكبرى،، لمدة طويلة نوعا ما، حتى نجهز شراء الأراضي من الأهالي المستضعفة وبأسعار مغرية، ونمد الأنبوب الذهبي حتى الدولة الإنفراضية وهذه المؤامرة تسمى بمؤامرة الموت، تحتاج لعشرة أعوام ولربما أكثر من ذلك كي تكون صالحة للإنتاج، لقد أطلقنا عليها بذلك الاسم لأنها عملية صعبة اختاروا الإخوة هذا القرار بعد تصويت جرى في العاصمة هناك وقالوا الفرسان بكل العالم بأنهم فدائيون لأجل ذلك الحلم الذي يجعل من الدولة الإنفراضية دولة غنية لا تحتاج لأن تحمي القوميين في المنطقة كي توفر ميزانيتها مقابل الحماية،وبالتالي ستبقى هذه الأراضي أراضينا في حال تم الاعتراض علينا من قبل حكومة الحمائم، أو حكومة

الانتهازية التي تحكم الحمائم سرا، هنالك اجتماع غدا بالقصر الجبلي، طلبوا حضورك لكي يشرحوا لك عن العملية أكثر، سننتظرك في السادسة مساء

فركب سيارته ثم غادر قصر قدوس...

في الثانية صباحا، وبينما كان قدوس غارقا في النوم، اهتز جواله برسالة نصية، انتبهت لها السيدة أسينات التي كانت تقرأ بكتاب كعادتها قبل النوم، فقرأتها ثم اندهشت من فحواها،فأيقظت قدوسا بعدما أكملتها، استيقظ قدوس بنصف عين ثم أشعل ضوئه، وقال لها : ما بك ؟ ماذا حدث هنالك ؟ قالت له : أقرأ .. فأخذ عويناته من على سطح سريره ووضعهن بعينه ثم بدأ يقرأ: عزيز سيد قدوس، منذ أن دخلت معك إلى الغرفة وأنا أشعر بالذنب إزاء ما نفعله بشعبنا، لقد قتلنا وهجرنا الكثير، وجلهم من العزل الذين لم يؤذوك وليس بمقدورهم أن يؤذوا نملة، وجاءت اللحظة التي تجعلني أعتزل هذا العمل الدنيء، فأن تكون عميلا لمدة قصيرة لأجل مصلحتك أمر مقبول، لكن من غير المعقول أن تعيش عمرك بأكمله وأنت عميلا، خائنا، لذلك فأنا مغادر إلى جهة مجهولة وأتمنى منك أن لا تسبب لي المشاكل، فكل ما حدث كان من

الماضي وسيظل من الماضي الق التحية للسيدة أسينات نيابة عني...

المرسل : باشاوي

قام قدوس من فراشه منزعجا، واتصل بزياني، حيث أمره بأن يبحث بأرشيف المطارات، والطائرات المغادرة اليوم وليلة أمس، وأن يفتش عنه، وأن يعرف أين كانت وجهته، ثم بدأ يشتم ويسب ويلعن، فأغلق هاتفه،

عاد لسريره مضنوكاً، غاضباً، مما جعل السيدة أسينات تنقلب للجهة الأخرى دون أن تتكلم حرفا خوفا من ردة فعله أشعل سيجارته وظل حتى الفجر يفكر بما فعله باشاوي، لكنه كان متفائلا بأن يمسك به، فقبل يومين كان هنا، وحتى إن غادر البلاد، فلن تكون وجهته بعيدة،كان يملي على نفسه بهذه الفرضيات حتى مشرق الشمس، ثم أخذ غفوة لئلا يصيبه الإرهاق حتى يكون مستعدا لاجتماعه المهم مع الأخوة الفرسان في المساء، ..

استيقظ خليل من نومه العميق بدار أبي نعمان وغادر إلى المكتب، فجاءه اتصالا هاما من " سعدون بلطجة" بأنه قبض على أطنان من المخدرات ذات الجودة العالية، فقال بأن سائق الشاحنة أخبره بأنها تعود للغرفة، فاتصل بزياني الذي أخبره بأنه قد كلف السائق بإيصالهن إلى

محافظة الغنية، وإن السيد قدوس غاضب مما فعله باشاوي لذلك لم أبلغه، ثم إنني نسيت أن أبلغك لأن خبر باشاوي أدهشنا وانشغلت بالبحث عنه، وحينما تأتي سأخبرك عما حدث،أغلق هاتفه وأبلغ بلطجة بأن يأذن له بالعبور، شريطة أن يأخذ هاتفه منه، ويلحق به بسيارة مدنية، ليس عليها دلائل ويقتل السائق ويحرق الكمية، فأغلق هاتفه،ثم أعطاه الإذن بالمرور،وأخذ هاتفه، كانت ثمة صحراء خالية، تبعد بحدود ال55 ميلا، وأنه سيمر منها لا محال، فبعد مرور عشر دقائق على رحيل الشاحنة، ركب بلطجة سيارته، التي حملها بثلاث براميل صغار من البنزين ولحق بالسائق، وقبل أن يصلا الصحراء صار سعدون يسير خلفه ببطء حتى صارا بكبد الصحراء المنعزلة المعروفة بطرق التهريب المنقطعة، فتقرب من الشاحنة وصار يلوح بيده طالبا من السائق الوقوف، فحين عرفه السائق صار يخفف سرعته، فنزل سعدون عليه وقال له: اتصل بي سيدي وقال، ادخلوا إلى عمق الصحراء على الطريق الترابي كي أبعث لكم من يستلم البضاعة، لأن الدخول إلى المحافظة في ظل هذا التشديد الأمني يعتبر مجازفة، وقال له السائق: لكنها طرق صحراوية، كيف لشاحنة مثل هذه الصمود أمام تلك التلال؟ فأجابه "بلطجة": لا يحق لنا التدخل بشأن الكبار، صحيح؟ دعنا ننفذ ثم إننا

نمضي في طريقنا..هيا، فركب سيارته ولوح بيده وقال له: اتبعني، فسار حتى وصل إلى مسافة بعيدة نوعا ما، لا يكاد للمارة أن يروا حتى سراب الشاحنة، فأوقف سيارته مدعيا أنها قد غاصت بإحدى الأودية العميقة وحينما نزل السائق ليتحرى ما حدث، أخرج "بلطجة" مسدسه من خصره بحرفية تامة وأطلق الرصاص على السائق حتى لقي حتفه، فأنزل الشاحنة إلى داخل الوادي، وبدأ يرش عليها بالبنزين حتى ملأت تماما، فأوقد النار بداخلها، فشبت النار، ثم ركب سيارته وعاد إلى مكانه وبينما وصل لمكان فيه إشارة اتصال، اتصل بخليل وأخبره بإتمام العملية..

كان خليل بمكتبه يستعد للذهاب إلى قصر قدوس، فأخبر اورفان بأنه راحل لمكان خطر نوعا ما، أعلمه بأمكنة المال، وكيفية التصرف بها، ثم أردف قائلا : عند عودتنا غدا في الثانية صباحا أخطط لانقلاب فاشل، لكي أجعل قدوسا يثق بي أكثر، أخبرت أبا نعمان عن الخطة سيطلعك عليها، طبطب على ظهر اورفان ثم ركب سيارته وغادر إلى القصر، كان قدوس بانتظاره، التقيا فسارا بموكب قدوس الذي يحتوي على خمس سيارات، حتى وصلوا إلى مطار العاصمة الرابط بينها وبين عاصمة الدولة المستضيفة للاجتماع،ركبوا بالطائرة فغادروا لوحدهما، تحدثا

أثناء رحلتهما عن طبيعة الفرسان ، والطبقات الحزبية بينهم، وكيف للطبقة الأدنى أن لا تعرف عن العليا شيئا، ومؤامرة التخطيطات تأتي من العليا نزولا إلى السفلى، وأن كل هذا يتم وفق دستور فرساني وضعوه قبل مئات السنين للسيطرة على العالم، فاعتلى الصمت للحظة ثم صار قدوس يشكو مغادرة باشاوي، إذ قال له : هل عرفت بخروج باشاوي؟ قطب حاجبيه خليل ورد باستغراب : أين غادر؟ فأعلمه قدوس أنه اليوم قبيل الفجر أرسل له رسالة معلنا فيها اعتزاله العمل من الغرفة، أجابه خليل: لم أره منذ أن التقينا بعدما حدثت حادثة الفيديو، كان قدوس غاضبا مذعورا،اكمل حديثه قائلا : سأقتله حيثما لقيته، حتى وإن دفن نفسه، سأفتش عنه وأدفنه بنفسي..

وبين سؤال من هذا وجواب من ذاك حطت الطائرة بالمدينة العاصمة، التي تحوي على قصر لفرسان بقمة جبل ذو فوهة واحدة، كانت هناك سيارة بالمطار تعود للسيد ميخائيل تنتظرهم، حيث أنها اقلتهم لذلك الجبل الشاهق، وحينما وصلوا أخبر قدوس خليلا بأن في القصر دار استراحة سيبقى بها؛ لأنه ليس من الإخوان، وإن هذا الاجتماع يشمل الأعضاء ذوي الدرجة الثلاثين فما دون،

لكنه قال بأنه سيتحدث له عن ماهية الاجتماع بعد خروجه، أوشكوا على الوصول إلى قمة الجبل، فنزلوا من السيارة قاصدين باب صغير، بوسط القمة، فدخلوا ذلك الباب، وإذا بحياة كاملة بداخل ذلك الجبل، غرف، وأبواب، وقاعات قمار، وكل ما هو محظور، كان على اليمين ناد للرقص، يتواجد فيه مطربون من الطراز الأول، تابعون للفرسان، وكان الجمهور من صفوة الفنانين،ورياضيين المنطقة بأكملها، وكان على اليسار غرفة قمار، لاعبوها من أشهر الساسة، منهم وزراء ونواب وأمراء، وفي الأعلى يوجد درج، يقودك إلى قصر الاجتماعات السري، فعندما تعتلي السلم،تخفت الأضواء كلما اقتربت من سطح الطابق العلوي، لتلقى شخصا مكلف بوضع اللثمة السوداء على عيني العضو، ومن ثم يقوده إلى حيث مجلسه، ليبدأ النقاش دون أن تعرف من الذين تتحدث معهم وبالعكس، جلس خليل بدار ضيافة حماية الشخصيات، ودخل قدوس الاجتماع، فظل لحدود الساعة تقريبا، مر بجانبه إلى الاجتماع العديد من الساسة، والشخصيات الاجتماعية، الرياضية، الفنية، وذو الشهرة، وكل الأشخاص المؤثرون،بعضهم دخل الاجتماع والبعض الآخر اندلس بإحدى القاعات

، وكان قدوس قد دخل قبيل ساعة، فجلس بجانب ميخائيل، زعيم الفرسانيين بدولة الحمائم، كان اجتماعهم حول مؤامرة الموت،وتأثيرها على العالم القومي، وعلى الانتهازية،

وكما أسلفنا شق ميخائيل كلامه دون أضواء قائلا : الأخوة الأعزاء، بكل العالم، الساعون من أجل السلام، لقد شرعت مؤامرة كبرى للتخلص من الحروب الأزلية بين الدرهميين والقوميين، وذلك بأن جعلنا منطقة الانفراضية الحالية تبقى وكما هي، لكنها بحاجة لمشروع يبقيها كدولة قوية خصوصا وأنها جارة للقوميين، وجلهم متطرفون، فنخشى عليها كما نخشى عليهم من آفة الحروب ودمارها، لذلك فقد اقتضت خطة أغلب الإخوة من الفرسان أن نمد بمحاذاة النهر من دولة الحمائم أنبوبا من الذهب اللزج وصولا للأسدية ومن ثم للدولة الإنفراضية، لقد أسلفت القول لبعض الإخوة أن العملية هذه تكلف بحدود الثلاث مليارات، حيث أننا مطالبون بالضغط على أهالي تلك المناطق وإغرائهم بالمال الكافي كي نشتري منهم أراضيهم دون مشاكل، لكن قبل ذلك، نحتاج لإشعال حرب نستطيع أن ننهيها بعدما نكمل أنبوبنا الذهبي والحرب يجب أن تكون مدتها عشر سنوات وربما أقل من ذلك إن لم يمتنع أهالي تلك المناطق بتسليمنا أراضيهم، ولتجنب الشك

والريب، سنسجل الأراضي بأسماء تجار درهميين، وإنما اتخذنا قرار الحرب لأنها الغاية التي تبرر الوسيلة التي نسعى إليها

والآن لتبدوا آراءكم، أي المافيات أجدر بأن نجعلها في الدائرة كي نبدأ عملنا؟ فتعالت الآراء واحدة بعد الأخرى، العصابة الصحراوية، عصابة الصحراء، ومنهم من قال مافيا اللقيط العميل، انتهت الأصوات بالإجماع لصالح العصابة الصحراوية،فعلل ميخائيل قائلا: مافيا اللقيط العميل هي وسيلة ضغط بداخل الحمائم والدول المجاورة لها، هم يرونه أنه الخطر الأوحد، والعدو اللدود،مما يجعلنا نعمل دون أن ينظر لنا أحد،أما مافيا الصحراء،فزعيمها من جماعة الفرسان وقد تم تكليفه بإنشاء تلك المافيا لتشغل العالم ولتكون رهن إشارتنا، والآن نحن نحتاجه أكثر من أي وقت مضى، لكن قبل ذلك علينا التريث لفترة محدودة حتى نستطيع أن نسير الحرب كما نريد، ثم أنني وجدت ثلاثين شخصا حمائميا لهم عدة اختراعات والمقلق في ذلك أن ثمة شخص منهم قد اختص بتخصيب اليورانيوم، وهذا إن نجح بعمله وتعاون مع حكومته سيجعل بلاده تملك السلاح النووي المدمر، مما سيشكل خطرا عظيما، وسيجعل مخططاتنا الماضية تذهب إدراج الرياح، لذلك يجب علينا أن نتخلص منهم، تنحنح قدوس وقال : لا تقلق يا

سيد، أعطني أسماءهم وسيتم اغتيالهم حالما أصل البلاد، فمد ميخائيل يده إلى قدوس وأعطاه ورقة تحمل اسم المخترع وعنوانه وسيرة ذاتية مختصرة عن كل شخص من هؤلاء الثلاثين،

وقال أحد الساسة المتنفذين : متى ستبدأ الحرب؟

قال ميخائيل : سنحدد موعدها في الاجتماع القادم،

ثم أكمل حديثه قائلا : انتهى الاجتماع أيها الإخوة، وسنعلن عن الاجتماع القادم عما قريب، فبدأوا ينسحبون واحد تلو الأخر،حتى فرغت القاعة، نزل قدوس مسرعا ومعه السيد ميخائيل فتعانقا ومن ثم تصافحا مصافحة الإخوة المعروفة لدى الفرسان فركب قدوس وقبله بلحظات قليلة ركب خليل وساروا نحو المطار... كان هاتفه مغلقا، ضغط على زر التشغيل، فما أن فتح حتى جاءته رسالة مفادها : مرحبا سيد قدوس، لقد عشت معك كثيرا بالسراء والضراء، لقد تقدمت بالسن ولم أعد قادرا على ارتكاب المزيد من الأمور الحمقى، أن تقتل إنسانا بريئا، أن تخط بيديك حروبا ليكون الشعب فريسته، أن ترمل بناتا، أن تيتم أطفالا، لم أعد قادرا على هذا كله، أظن بأن ما فعلناه كان كافيا، وأرجو أن تصفح عني فإني قد غادرت البلد بعيدا إلى حيث لا تعلم.. صديقك المخلص : محمود بهشراني،

اشتاط قدوس غضبا وانفعالا، أعاد قراءة الرسالة عشر مرات، كان خليل جالسا بقربه فأعطاه قدوس هاتفه فأخذه، وبدأ يقرأ الرسالة حرفا حرفا، صار متعجبا من نفور أعضاؤه منه، فلم يتكلم حرفا واحدا حتى وصلوا إلى الطائرة،وبالطائرة قال خليل لقدوس : ما تفسيرك لهذا؟هل هي صدفة أم أنهم نفروا ؟

فبدا قدوس لأول مرة ضعيفا وكأنه بقي وحيدا، فأزاح ربطة عنقه وقال : ليس لدي أي تفسير، إنني متعب نوعا ما، لم أنم جيدا ليلة أمس، كانت رسالة باشاوي قد أقلقتني،لذلك كنت أفكر بها حتى الصباح، سنتكلم حينما نصل القصر. أبلغ زياني بأن يجمع لي الأعضاء، فقال خليل: بهذا الوقت المتأخر ؟ رد قدوس : نعم، فالأمر خطير..

قبل ذهابهم إلى الاجتماع كان خليل قد قضى ليلته عند أبي نعمان، فقال له أبو نعمان: يجب أن تخلق انقلابا وتقضي عليه كي تضمن مكانا عند قدوس، فقدوس شكاكا، لحوحا، بالأسئلة التي لا تجد لها أجوبة، ثمة دار متروكة بالقرب من قصره تعود لأحد العوائل الفارة من الأوضاع السيئة، سنحط بها، وحينما تنزل من الطائرة أعلمنا برسالة،وإذا أردت أن تطلق رصاصا فبإمكانك أن تصوب حول من تريد أن تصيبه كما سيفعل هو، سأحاول أن أصيبك بإصابة طفيفة، لا تخف، المهم هو أن

تحمي قدوسا، فانطلق خليل لقصر قدوس ومن ثم غادروا إلى اجتماعهم،حطت الطائرة بوسط العاصمة، كانت سيارتهم لا تزال موجودة بالمطار،وثمة سائق وآخر معه للحماية، طلب خليل الذهاب للحمام الصحي بينما كان قدوس شاردا مما فعلاه باشاوي وبهشراني، وقبل أن يخرج من الحمام بعث رسالة لأبي نعمان وقال فيها : نحن أربعة، أنا وقدوس في الخلف،ثم حذفها وأغلق هاتفه وأعاده إلى جيبه، فقضى حاجته واغتسل وأخذ كمية من الكلينكس، وركب وهو ينشف يده، كان قد ركبا من الخلف، دمدم قدوس على سائقه،فقال له:قد بسرعة، فالعاصمة تبدو مخيفة حينما تسير بها لوحدك دون حماية مكثفة، ركب أبو نعمان قناصا بسطح البيت المتروك،وجعل اورفان تحته، كانت الخطة أن يقتل أبو نعمان الرجلين اللذين يجلسان في المقدمة، ثم يخرج عليهم اورفان ليتبادل مع خليل وقدوس إطلاق النار دون أن يصيب أحدهم الآخر، كان قدوس يحدث خليلا عن حادثتي باشاوي وبهشراني، فقال خليل، : هل تعتبر رحيلهما خيانة ؟

أجاب قدوس: نعم، لقد سرنا منذ البداية معا، انطلقنا من القاع معا، ووصلنا نحو القمة معا، لقد جعلتهم أغنياء وانتشلتهم من فقرهم، لم يكمل حديثه حتى شقت رصاصة الزجاج الأمامي للسيارة وتبعتها

أخرى بوسط جبين السائق فخرجت السيارة عن طريقها نحو الدار الذي يتواجد فيه اورفان وأبو نعمان، تغير لون قدوس إلى الاصفرار، وأخرج مسدسه من جيب السيارة،وأعده،فانطلقت رصاصتين أخريين واستقرتا بصدر الراكب الأخر، اصطدمت السيارة بحائط البيت فتوقفت، وبلكنة متلكئة قال خليل لقدوس: ابقى بمكانك ولا تتحرك، ولا تطلق النار كي لا يعرف القناص مكانك، فنزل من السيارة وتبادل إطلاقات النار معهما فأصابه أبو نعمان بيده، بحرفية تامة، فظل خليل بمكانه ينازلهم بإطلاقات بين الحين والحين حتى ولوا هاربين، فرجع نحو السائق الأمامي وأخرجه ثم تولى قيادة السيارة فضغط على سرعتها فانطلقت بسرعة نحو القصر، كان قدوس مذعورا مما حدث، فقال لخليل : هل أنت بخير ؟ أجابه خليل بأنه قد تعرض لإصابة خفيفة لا تستدعي القلق، كان قدوس يردد بصوت عال : الخائن.. الخائن.. من الخائن؟ باشاوي أم بهشراني أم أن هناك مؤامرة ؟ من الخائن؟

في هذه الأثناء كانت سيارة أبي نعمان خلف هذا الدار المؤدي لحارات مظلمة، يسهل للفار الضياع فيها، ركبا بسيارتهما ثم انطلقا دون أن يراهما أحد، بينما وصلوا القصر قدوس وخليل، فدخلا القصر، وأمر

قدوس زياني بأن يتصل بطبيب العائلة بأسرع وقت ممكن، ثم أمره بتتبع أمر ما حصل، وإرسال جنوده لذلك البيت لإحراقه، فحملوا خليلا وأنزلوه إلى غرفة خاصة، في حين أن أبا نعمان واورفان قد وصلا إلى دار أبي نعمان، وأدخلوا سيارتهما التي كانت بعيدة عن الأنظار، فاغتسلا وجلسا يتحدثان، كان أبو نعمان قلقا بشأن خليل، فهو من شدة حبه له صار يتخيل أنه قد ألم به: فقال لـ اورفان : أتخالني أصبته ببطنه أم بيده؟ أجاب اورفان : لم أرى إصابته، أنت من أصابه وليس أنا، فقام اورفان من مكانه وعيناه قد برزتا نحو أبي نعمان، وأكمل حديثه قائلا : أتقصد بأنك قد.. فصمت للحظات، ثم أكمل حديثه : لا، سيأتي غدا، أعدك بذلك

وصل الطبيب الجراح إلى القصر مع ممرضة ماهرة، ودخلوا إلى الغرفة التي كانت خالية من أي أحد، وبدأوا بعملهما، إذ قال الطبيب للممرضة وهو يبتسم لخليل الذي بدأ يفقد وعيه بعدما أعطاه مخدرا تحضيرا للعملية:أعطني المقص، ظننت بأنها إصابة بليغة، فشق قميصه، وبدأ بتنظيف الجرح وتعقيمه، وأخرج الرصاصة منها،ثم بدأ بخياطه،كانت مدة العملية نصف ساعة لا غير، فخرج من حجرته بعدما وفر له كل الأدوية اللازمة، وغادرا، كانت الساعة الثانية

صباحا،بعدما تطمأن قدوس على حياة خليل، قال لزياني :أبلغ الأعضاء باجتماع هام غدا في العاشرة صباحا،وأبلغ الطالوت بمهمة قادمة ليكن جاهزا، فغادر لغرفته و استلقى على سريره، كانت أسينات تنتظره، قال لها : ثمة خائن يا أسينات بيننا، أود أن أعرفه، كي أستلذ بقتله وإبادته، فاليوم لو لاهذا الفتى القوي لما كنت أمامك الآن،

قالت له وهي تدهن بجلدها وبصوت اللامبالي : اقتل من يتمرد عليك، لتعود إلى ما كنت عليه في السابق، مهابا، قويا، وجبارا، واستدع أعضاء جدد غير هؤلاء العاجزين عن فعل أي شيء إلا بأموالهم، فمنذ البداية لم أكن راضية عنهم، فقال لها: يبدو أنني قد أعطيتهم أكثر مما يستحقون،سأنهي المهمة الأخيرة ومن ثم سأغتالهم، لكنني بحاجة لهم الآن، فلدي مهمة صعبة، قالت له: هل اتفقتم عليها أم أن هنالك من هو معترض ؟ قال لها: لا، اتفقنا عليها لكننا لم نحدد وقتها بعد، فبعدما نكمل هذه المهمة سنقطن بالدولة الإنفراضية، أحس بأن هذه البلاد ليست آمنة، كل البلاد غير آمنة،الإنفراضية وحسب، قالت له: حينما نسمح لمن كان إمعة وبفضلنا قد ارتفع مقامه، بالتطاول على أسياده، عندها ستكون كل الأماكن غير آمنة يا عزيزي، فأنت صنعت أعداء لك، دون أن تعلم، فأطفأت ضوءها ثم خلدت للنوم، ظل قدوس

شاردا يفكر بالأمر، من المسؤول عن مغادرة الأعضاء للغرفة؟ الدولة الحمائمية التي تجاوزها ببداية الحرب الطائفية أم أنها الانتهازية التي تريد التخلص منه وتخطط لانقلاب، لرئيس غرفة جديد؟ كانت هذه التفكيرات ذاتها التي كان يسأل عنها زياني نفسه وهو يتقلب على فراشه لتدخل الغرفة اضطرابات لم تشهدها من قبل، هل هي نهاية الشر؟ وهل أصابت دعوة ثكلى فقدت وحيدها بعبوة شرير؟ أم أنه الحق الذي لا يحق غيره؟ من ذا الذي سينتصر، الخير القليل أم الشر الكثير؟جولة تبدو مألوفة للبعض، فالخير لا يملك الخائن كي ينتصر، فالخائنون ظل الأشرار، الذين هم من يكسبون حربهم في الغالب، الأشرار لا يموتون؛ لأنهم أشرار، الموت دائما للأنقياء الباحثين عن ضفة تبعدهم عن مجابهة أي شيء، هم يدركون معنى أن تكون مسالما، نقيا، أبيضا، لكنهم غير قادرين على تصور أن يكونوا خائنين،

ليكن ولو لمرة واحدة أن يكون الموت من نصيب الشر، أن يتفوق الخير على الشر، ماذا سيحدث ؟ ربما لكان الألم أقل، أقل بكثير من عادته...

ماذا لو استجاب الله لأدعية المظلومين ؟ هل ستتغير ميزانية الزعماء وأتباعهم ؟ ماذا لو لم يكن هناك أتباع ؟ هل سيكف المسؤول من أن

يرى نفسه إلها ؟ ماذا لو كانت نظرة المسؤول لنفسه بأنه موظف كأي موظف بالدولة ؟ هل سيكون له أتباع وحاشية؟

ماذا لو كف المتعصبون عن تعصبهم، وكف الذين وضعوا أنفسهم كحراس على العالم ؟ هل ستكون خارطة هذا العالم البائس أقل ظلما ؟ هل ستكون الأرض عادلة حينها؟، لربما صناعة الطغاة أزلية في أغلب الشعوب الجاهلة، فهي صناعة محلية رديئة، لابد من أن تحرق صانعها ذات يوم،

كان بلطجة وأصحابه الثلاثة يديرون أعمالهم بنزاهة تامة مما جعل اورفان معجبا بهم، فقد كان أبو الخنجر، وسعدية أقل جهدا لأن مدينتيهما اللتين يديرانها كانتا غير مركزية مثل تلك التي أثقلت كاهل بلطجة، فعادة اورفان أن يتصل بهم صباح كل يوم، ليسألهم عن بضائع الفجر التي تكون أشد الأوقات ازدحاما، في حين أن اورفان وأبو نعمان كانا لم يزالا قلقين على خليل، وينتظرانه على أحر من الجمر، فخرج اورفان نحو المكتب لافتتاحه كما يفعلان هو وخليل كل يوم، واستقر به منتظرا خليل الذي استيقظ من نومه العميق، وطلب من الحارس الواقف على رأسه أن يقله إلى الحمام، فأعانه على الاغتسال ولبس ملابس جديدة، وخرج للإفطار على طاولة القصر الرئيسية، كان

قدوس يسأل عن خليل فأبلغه أحد الحراس بأنه يتمتع بصحة جيدة، فخرج على طاولة القصر التي كان لها موعد ثابت لجميع وجبات الطعام، فرأى خليلا جالسا، مع بسمة خافتة، نحو السلم الذي ينزل منه، فاستهل كلامه بعدما أن وصل قائلا: صباح الخير أيها الذئب، أجابه خليل : صباح النور، لست ذئبا على أحد، قال قدوس: أنا مدين لك بحياتي على ما فعلته ليلة أمس، قال خليل: لست مدينا لأحد بشيء، هذا واجبي، أخبرتك مذ أيام بأنني فدائي للولاءات، وأنت سيدنا، وواجب علينا أن نحميك، فقالت وهي تتمايل على السلم بخطوات بطيئة : هنيئا لك به يا زوجي العزيز، فتشكرت منه ثم جلست على طاولتها بالقرب من طاولة قدوس المتصدرة للمجلس، ثم جاءهم زياني، وألقى تحية الصباح على الجميع وجلس، فبدأوا يتناولون طعامهم ويتحدثون عما حدث، كان زياني يكره خليلاً، كان يخاف على منصبه، فحدث نقاش بينهم ، قال قدوس : يجب أن نعرف سبب رحيل الأعضاء ! أخشى أن تكون هناك جهة خارجية وراء كل هذا !، قال خليل : جل ما أخشاه أن يكونوا خائنين، قال زياني: لا، أنت لا تعلم بالسياسة شيئا، من الأفضل أن لا يكون رأيك مطروحا من قبل،

فقاطعه قدوس وقال له : سنتكلم لاحقا فور وصول الأخوة، وكل الآراء مقبولة، كان خليل يشتاط غضبا من الداخل، لكنه تمالك نفسه، وصلوا الأعضاء إلى اجتماعهم، وهم كل من : طبلشاني والأعرج، وطالوت وزياني، استقروا بمجلسهم، ودخل قدوس عليهم، ثم تبعه خليل، فجلس قدوس متصدرا، وقال: لقد فقدنا عضوين مهمين من الغرفة، لقد غادروا دون إذن، عكس ما كنا متفقين عليه، فسروا لي رحيلهم، تنحنح الأعرج وقال: بالاجتماع الأخير غادرت مع باشاوي، وأكملنا حديثنا عنده، لم يبدر منه شيئا رغم إفراطه بالشرب، أظن بأن ثمة جهة خارجية تريد أن تقضي على الغرفة واحدا بعد الأخر، فإنني استبعد اعتزاله للعمل، فتبعه طبلشاني وقال: لا، لا أوافقك، أظنهما كانا يخططان لهذا الشيء منذ زمن، كما وأجزم بأنهما غادرا البلد بأسماء مستعارة، ربما قطنوا بأوروبا أو حتى بنهاية آسيا، وبالتالي ستكون عملية القبض عليهم تكاد تكون مستحيلة لذلك يجب علينا نسيانهم، واستدعاء أعضاء أكثر كفء، التقط الطالوت نظاراته ووضعها على عيناه وقال : لماذا استبعدتم فكرة أن يكون هناك خائن؟! هل أنتم جميعكم منزهون؟ لا، كلكم خطاؤون، صحيح؟ ثم أن سبب رحيلهما متشابه نوعا ما، هل كان صدفة؟ ولربما لم يزلا موجودان بإحدى زوايا

البلد مقموعين، لنضع خيار بأن الاثنين خائنان، ربما هو أحد الآراء المطروحة، لنعمل الآن على كيفية استعادتهم، واستجوابهم، وقتلهم، وهذا يعتمد إشارة بسيطة، لكننا عاجزون من أن نجد تلك الإشارة، وافق زياني الطالوت

إذ قال: أوافق الطالوت بالرأي، ثمة خائن بيننا، لقد توالت أحداث علينا بالفترة القليلة الماضية، من غير المعقول أن تكون من الصدفة، فبينما كنا مشغولين برحيل باشاوي، فقدنا بنفس اليوم كمية الهيروين التي اشتريناها ب6 ملايين دولار، ثم بعدها بقليل فقدنا طبلشاني، أنا لا أؤمن بالصدف، هناك خائن، ساد الصمت للحظات، مع تبادل للنظرات، أشعل سيجارته وعلق قدوس قائلا : أنا مع وجود خائن، وأوافق أن تكون هناك جهة خارجية منافسة لنا تقدم للأعضاء أشياء لا توجد عندنا، ولربما تغتالهم دون أن يحسوا، ومن الممكن أنها تعتقلهم لمعرفة خبايا الغرفة وماهيتها.. كل شيء مطروح

فبعدما سافرت لاجتماع هام، لم يخبرني زياني أنه منتظر لبضاعة، وحينما عدت كانت نشرة الأخبار تتكلم عن الحادثة بأنها محروقة. لقد احترقت بعد عبورها لمحافظة القمحية ب30 ميلا تقريبا، وهي من مهمة خليل وجنوده، كيف تفسر ذلك يا خليل ؟ تنحنح خليل، وقال : سيد

قدوس، اتصل بي أحد الجنود، وأخبرني بالشاحنة، وقال بأن سائقها يعود للغرفة، فاتصلت بالسيد زياني وتأكدت من أن البضاعة تعود للغرفة حقا، فاتصلت بالجندي فامرت بمروره، فسار السائق ماضيا نحو العاصمة، قيل في تقرير قرأته يعود لقيادة عمليات العاصمة أنهم وجدوا الشاحنة محترقة والسائق مقتولا، ضرب ست رصاصات بجسمه، اثنان منها بالرأس، ولقى حتفه بعدها

وتم حرق الكمية كاملة، فالذنب ليس ذنبي مطلقا، أرجو أن تسمح لي بأن أوجه لكم اللوم كله، كيف لكمية مثل هذه لا يكون لدينا علما بها؟ خاصة أنا، فأنا من يدير تلك المحافظة

كان من المفترض أنك أنت أو السيد زياني أن تخبراني بها، كي نؤمن وصولها للعاصمة، قام قدوس من مكانه وراح يسير نحو خارطة البلد المثبتة على الحائط، فأخرج مسدسه وأطلق كل رصاصاته بتلك الخارطة، ثم التف عليهم وقال: أكاد أن أتوصل للخائن، فقد وجه لي ثلاث لكمات بغفلة مني، اختفاء العضوان، كمية المخدرات، وعملية اغتيالي الفاشلة، وحينما ذكر الثالثة هدأت أعصاب خليل، وتنفس الصعداء، وصار يتنفس براحة تامة، فأكمل قدوس حديثه إذ قال: لقد فتشنا عن كل تلك الأشياء، لكننا لم نجد شيئا، يبدو محترفا، لنرى في

النهاية من سينتصر بيننا، عاد لمكانه وجلس وأشعل سيجارته، ثم ملأ كأسه بالنبيذ الأحمر، وارتشف رشفة منه وقال: أريد منكم التركيز فيما سأقول، لقد كلفوني الأخوة الفرسان بمؤامرة الموت، وهي التي ستتم بساحتنا نحن، وأغلبكم يجهل المؤامرة، هي ستتم كالآتي : مد خط ذهبي من محافظة النزاعات إلى مدينة في الأسدية ومن ثم إلى الدولة الإنفراضية، مهمتنا بعدما تصدر الأوامر هي أن نخلق حربا بهذه المحافظة والمحافظات الشمسية، وسنشتري الأراضي الداخلة ضمن المخطط الإنفراضي، بأسماء تجار درهميين، حتى يسهل علينا أن نمد الأنبوب، وربما سيكونا أنبوبين، الأول ذهبي والثاني مائي، أي نغير مجرى الماء، وكل هذه العملية ستتم بمحاذاة النهر، أو بعيدا عن الأنظار، هل فهمتم الآن؟

قال طبلشاني : أليست مكلفة؟

أجابه قدوس: ستكلف ثلاث مليارات دولار فقط، لكنه مشروع سيجعل دولتهم أقوى مما هي عليه،

ثمة مهمة أخرى كدت أنسى أن أتطرق لها، وهي أن الأخوة الفرسان كلفوني بقتل ثلاثين شخصا، 25 منهم مخترعون، و5 منهم علماء

كيميائيين، فأخرج من جيبه ورقة ثم أعطاها للطالوت وقال له : تخلص منهم، فهز الطالوت رأسه،

انتهى الاجتماع وغادروا القصر، فبقي خليل وقدوس، استأذن خليل من قدوس وقال بأنه سيتفقد العمل بالمكتب، وتشكره على حسن ضيافته، لم يمانع قدوس، فغادر خليل إلى المكتب، كانت أسينات تنتظره بالصالة فاصطحبته بسيارتها كانت شغوفة به، التقيا مرة واحدة ومارسا الحب معا، لقد وقعت في فخ حبه، فصار يستغلها دون علمها، لكنها كانت متخوفة من أن يصل الخبر لقدوس كان اورفان جالسا على الكرسي ومنحني إلى الخلف ومحدقا إلى السقف، فدخل خليل عليه، وبنظرات بطيئة نظر نحو الباب، فاندهش وذهب مسرعا واحتضن خليل حتى تأوه من إصابة يده التي لامستها يد اورفان، فقال له: كدت أموت خوفا عليك، حسبت أنك مت أو أسرفنا بإيذائك،

جلس خليل بمكانه وقال له : لا تقلق، أنا بصحة جيدة،

كيف هو حال أبي نعمان؟ أجابه إذ قال: قلق عليك، لم ينم بل لم يغمض له جفن، كان يخشى من خطأ إصابتك بالمكان غير المناسب، قال خليل : اتصل به وأخبره بأننا سنتناول وجبة الغداء عنده،

بعدما غادر خليل القصر طلب زياني من قدوس المكوث، وقال له: سيد قدوس أنا أعتقد أن الخائن هو خليل، فمذ انضمامه للغرفة تواكبت علينا المصائب واللعن، هل تخالها صدفة؟

حدق قدوس بوجه زياني للحظات وقال له: ما تفسر عملية إنقاذه لي يوم أمس ؟ قد عرض نفسه للخطر كي أنجو، ونجونا بأعجوبة، كيف تعلل ذلك؟

سكب زياني كأسين من النبيذ الأحمر المعتق وأعطى لقدوس كأسه وقال: ماذا لو كانت خدعة منه! أنا لم أصدق لوهلة أنه منقذ، يبدو أن القناص ماهر، فكيف له أن يصيبه بيده وهو الذي أجهز على شخصين قبله بلحظات قليلة؟

فكر قدوس بالأمر فهز رأسه رافضا، وقال: لا، لا، أمر مستبعد كانت لحظة مليئة بالدم والدخان، فنزل واختبئ وراء السيارة وجاراهم حتى فروا، لكن نزولا لرغبتك، ولكي تطمأن، ضعه تحت المراقبة، مكانه وتواجده، الأشخاص الذين يلتقي بهم، وعندها ستعرف النتائج،

وافق على الفور، وخرج مسرعا، نزل للأسفل وكلف ثلاثة أشخاص من الحماية القدامى بمراقبته، فاتجهوا نحو المكتب لتتبعه، طويت جميع

الأفكار السيئة التي انهالت على أبي نعمان ليلة البارحة، بلقاء حار، طغى عليه التشابك والمصافحة،

فجهز اورفان ثلاثة أكواب من الشاي، فقال أبو نعمان: تحدث لي عن لقائكم مع الفرسان بالتفصيل، فيم التقوا؟ وعلام اتفقوا أولئك المجرمون؟ فراح خليل يسرد له بالتفصيل عن ماهية اجتماعهم، وما كانوا يخططون، وعن نظرية الموت، فبدأ ابو نعمان مغتاظا منهم، فصار يجعد أطراف أصابعه ببعضها، ثم قام من مكانه وراح يسير إلى شرفته المعتادة قائلا: يا لسذاجة القوميين، يا لدهاء الدرهمين، إنهم يقلبوننا من حرب إلى حرب، ومن أزمة إلى أخرى، لقد كانت فكرة سيطرة الانتهازيين وهمية لصرف النظر عنهم، صنعوا خطرا وهميا لئلا يتطرق إليهم أحد، بقادتنا وأعلامنا، بجيوشنا ومافياتنا

بكل ما نملك، يخططون بكل هذه الأدوات للوصول إلى أهدافهم دون خسائر منهم،

قال خليل : كيف سنوقفهم؟! فالتف نحوه أبو نعمان ضاحكا وقال له: هؤلاء لا أحد يوقفهم، إن افتضح أمرنا سيقتلوننا، سوف لن نصل حتى لمبتغانا الأول، وهذا ما لا يحمد ..

فقال خليل: ماذا لو قتلنا قدوسا يوم أمس، هل سينتهي كل هذا الشر ؟ فكرت ولوهلة انتابتني قليلا، أن أقتله، لكني تراجعت، ماذا لو أنني لم أتراجع وقتلته؟

قال أبو نعمان : غير صحيح، سنقتله، لكن ليس الآن، نريد أن نستدرجه لمزيد من المؤامرات، نريد أن نكشف كل جرائمه، ومن ثم الاستيلاء على أمواله، بعدها سنقتله

لكن حتى لو قتلناه لن ينتهي الشر، فهناك ألف قدوس بالبلد غير ظاهرين مثله، يرتكبون يوميا ألاف الجرائم، لكنها ستكون تخفيفا عن جراحات الوطن، علنا نفسد المخططات الدموية التي نعرفها والتي لا نعرف عنها شيئا

وقبل دخول خليل إلى دار أبي نعمان، توقفت سيارة المتتبعين بمسافة عن البيت، كانوا على تواصل مع زياني

الذي أخبرهم بأن يكونوا أكثر تركيزا وألا يتخاذلا خشية أن يباغتهم، حل المساء القاتم، حل الذي تتم فيه المهمات فنزل طالوت وجماعته يبحثون عن الأسماء، بمحافظة الكبرى افتتحوا يومهم الدموي بطرق باب عالم الذرة، دكتوراة بالكيمياء الذرية، له عدة اختراعات

ونظريات، كرم بعديد من الجوائز، على نجاحاته العلمية، خرج عليهم بلباسه الداخلي، وقال لطارق الباب : من هناك ؟

رد حارس طالوت قائلا : نحن الاستخبارات، فتح الباب ورحب به وطلب منه الدخول لتضييفه شيئا سريعا، رفض الحرس وقال له : شكرا، لا أريد، تفضل معنا، نريد أن نستجوبك، فرد مذعورا وخائفا : بم تستجوبونني ؟

قال له : لا أعلم، أنا مكلف بأن أقلك للمركز فقط،

طلب من الحارس أن ينتظره للحظة حتى يغير ملابسه، لم يمانع، فغاب لعشر دقائق ومن ثم عاد، فركب بالسيارة من الخلف، بجانب طالوت، الذي بدا مسرورا، فرحب به وقال له : ذكر اسمك باجتماع للفرسان، ونحن نعمل لهم خفية، أخبرنا عن تخصيبك لليورانيوم، ولأي جهة خصبت؟

فقال بلهجة التلكؤ والارتباك : لم أخصب ولا لمرة، أنا مجرد أستاذ جامعي، لا أعرف عن هذه الأشياء بالحقيقة شيئا، سارت السيارة نحو بيت التعذيب، أنزلوه، وتم تعليقه من أقدامه وانهالوا عليه بالضرب حتى فقد وعيه، ثم عاد برشف قنينة ماء فقال: كنت أعمل لدى النظام السابق، لكنني تركتها، بل كنت مرغما على العمل لديهم، وقد اعتزلت

هذا العمل، وغبت عن الأنظار، وبإمكانكم أن.. لم يكمل حديثه حتى أخرج طالوت مسدسه من خصره وأطلق عليه النار بوابل من الرصاص، وقال لحراسه : تخلصوا منه،

وبينما كان يمارس الطالوت أبشع الجرائم التي عرفتها دولة الحمائم برموزها وصفوة أبناءها ومتقدميها،

كان قدوس وزوجته السيدة أسينات يحتفلون بميلاد زوجته التاسع والثلاثون فوردت لقدوس رسالة مفادها :

مرحبا سيد قدوس، لقد عشنا معك لحظات رائعة منذ أن كنا سجناء ومن ثم طلاب بالجامعات، لكنك اتخذت مسارا خاطئا، مسارا لم نتفق عليه منذ البداية، وهو العمل لصالح الإنفراضية، نحن ولاءنا للانتهازية، لأنها قدمت لنا الكثير، لن نخونها كما خنتها أنت، سنظل خداما لها، لكن سنختفي عن الأنظار لمدة من الزمن، ولحين مجيء تلك اللحظة ستبقى صديقنا، وليس بيننا وبينك أي عداوة، حتى وإن لم نلتق، ثم أبلغ سيدتنا الجميلة بأننا نتمنى لها ميلادا مجيدا

أخواك: طبلشاني والأعرج،

فاشتاط غضبا، وهرع مسرعا نحو مكتبه، فجلس وهو مذعور فاتصل بزياني الذي كان مع زوجته يتراقصون على أنغام الموسيقى بالقصر

نفسه، احتفالا بميلاد السيدة، في الوقت الذي كان فيه طالوت يتمتع بممارسته القتل، فبغضون ست ساعات أجهز على 20 شخصا من محافظة واحدة، جلهم من المخترعين الذين كانت لهم صولات وجولات في مجال الاختراع الكيميائي، والفيزيائي، وشتى أنواع الاختراعات، كان يلقي جثث القتلى بمتنزهات المحافظة،

بعدما ينهي التحقيق معهم، كان يعشق القتل، مصابا بداء التطرف الذي جعل منه يستلذ بالقتل، بالجريمة، لقد صنع منه قدوس الوحش القاتل، فينهال عليه بكلمات البطولة والزعامة، حتى صار لا يرى سوى الفريسة التي يريد أن يقتلها، وقبل أن تشرق شمس الصباح أكمل طالوت مهمته بالثلاثين الذين ذكروا أسمائهم، فعاد إلى العاصمة

وبالوقت الذي نال النعاس من حراس زياني وبهفوة منهم وصلا أبو نعمان و اورفان دخلا البيت دون أن ينتبه لهم الحراس الأغبياء الذين غاصوا بنومهم، كان قدوس قد أصابه الذعر، والخوف الشديد، كان يدور بالغرفة ذهابا وإيابا حتى طلب زياني منه أن يهدأ ويبدأ بالجلوس، فجلس وقال لزياني :أجبني دون عاطفة، لو كنت بمكاني، ماذا ستفعل؟

قام زياني من مكانه وراح نحو طاولة المشروبات، وملأ كأسين من مشروب قدوس المفضل وقال : أقتل كل من أشك به دون تردد، خاصة الأشخاص الذين دخلوا حياتي ولم املأ جوفي بمعلوماته، ثم أخذ الكأسين وأعطى واحدا لقدوس وبدأ يحتسي الآخر، شربه قدوس مرة واحدة وقال له : أتقصد خليلا ؟ أجابه زياني :هل هناك غيره ؟ ما الذي جعلك تثق به إلى هذا الحد؟ لم أعهد عليك ذلك!

أجابه قدوس وقال : لقد ذكرني بالماضي، أحسه يشبهني، تفكيره، ذكائه، طريقة تعامله، شجاعته، كله، لقد كنا ومنذ زمن بعيد نفتقر لمثل هكذا شخص بالغرفة، لو كنت مع غيره قبل يومين لما نجوت من الحادث، حتى وإن كان خائنا فأنا أقر واعترف بأنه شخص قوي وذكي، اشتاط زياني غضبا ورمى الكأس على الأرض وقال له: أعطني الأمر بأن أدخله المجلس التحقيقي، سأستجوبه، لأرى مدى قوته،

أجاب قدوس: لا، ليس الآن، أمهلني يومين، لنرى ما سنستطيع فعله، أنزل إلى تحت وأنهي تلك الحفلة التي صدعت رؤوسنا، وبعد شروق الشمس بساعتين استيقظ كبيرهم وصار يوقظ الحارسين ويسب بهم وينهال عليهم باللعنات، فاستيقظوا جميعهم، فتشجع أحد الحراس ونزل من سيارته حاملا مسدسا وكامرة، التصق بجانب الحائط وصار

يسير بخطوات بطيئة، فتسلق الحائط الخلفي ونزل بهداوة تامة، حتى اقترب من شباك الشرفة، كان أبو نعمان جالسا على كرسيه المعتاد وبيده كتابا يقرأ به، نظر وبخلسة إلى يمينه وشماله لكنه لم ير أحدا، فالتقط له مجموعة من الصور ثم عاد وببطء إلى الحائط الذي تسلق منه ومن ثم صار يسير مسرعا حتى وصل السيارة فركب بها

استيقظ خليل مبكرا ثم أيقظ اورفان فأعد وجبة الافطار فغادرا إلى مكتبهما عند الساعة العاشرة، لم يكتشف خليل أنه كان مراقبا، بل لحقته السيارة إلى المكتب، ورصفت بعيدا حيث يتيح لراكبيها رؤية كل شيء، كان طالوت قد وصل إلى بيته في الثالثة صباحا مع مجموعته المتطرفة المكونة من عشرة حراس أشداء، والتعب قد نال منهم جميعا لما فعلوه في الليلة الماضية، فاستلقوا جميعهم بمضاجعهم، كان ثمة شخصان يراقبان منزل طالوت من البيت الذي يقابل بيت طالوت بمنظور، وبعد مرور ساعة تحديدا عند ال11 صباحا تلقى قدوس الذي قد نام متأخرا لما أعياه من خوف ووجل رسالة التقطها فزعا، ووضع بارتباك هائم العوينات على عينيه وبدأ يقرأ الرسالة الذي كان مفادها : أيها المجرم، أيها المجرم، لقد حولتني إلى قاتل، ووحش، لم أنم نومة هنيئة مثلما

أغطس بها الآن، اللعنة عليك، وإذا أردت أن مجابهتي فستخسر كثيرا، عدوك القادم : الطالوت

فأزاح غطائه عن جسده، وراح يركض ويصيح : أين زياني؟ من هنا؟ زياني، زياني، كان زياني جالسا بصالة الاجتماعات لوحده، يشاهد التليفزيون الذي كان مشتعلا على مقتل الثلاثين شخصا، فدفع قدوس الباب ودخل غاضبا، فقام زياني من مكانه متعجبا، وقال لقدوس: ما الذي حصل؟ فلم يجبه قدوس، كان شاردا بما تتداوله قنوات التليفزيون، ففتح عيناه، فينظر تارة لزياني وتارة أخرى للتليفزيون فيعاود النظر إلى الرسالة الغريبة، وسط دهشة وغموض لم يفسره بعد، كيف يعقل أن يرسل الطالوت رسالته هذه وقبل ساعات قد نفذ مهمة قد كلفه بها قدوس ؟ كيف ذلك؟ فتقرب زياني منه وأخذ الهاتف وقرأ الرسالة واندهش، ثم قال بصوت مرتفع : ألم اقل لك أن خليلا الذي أدخلته هو من كان وراء تلك الحوادث؟ جلس زياني بقرب قدوس الذي لم يتفوه بكلمة سوى : ما الذي أفادته مراقبتك له؟ أجاب زياني : لقد كلفت حراسا لمراقبته، قال قدوس: اتصل بهم واسألهم عن مكان تواجده ليلة أمس، فالتقط هاتفه الذي كان على الطاولة، واتصل بهم، قال زياني: أين أنتم الآن، أجابه الحارس: بالقرب من مكتب خليل،

زياني: أين كان ليلة أمس؟ قال الحارس له: ذهب لبيت يتواجد فيه شخص بالخمسين من عمره، لكنه لم يخرج حتى الصباح الباكر، ولم نغفل عن مراقبته أبدا، فقال زياني : كيف عرفتم أنه التقى بذلك الخمسيني؟ فشرح له الحارس عن عمليته التي جازف بها، فأمره بأن يأتي إلى القصر حالا، ثم اغلق هاتفه، كان قدوس يتمعن بالجثث الملقاة وسط المتنزهات، وسط تفكير عميق، آلاف من الأفكار التي تدور برأسه، من الفاعل؟ أخليل المصاب بيده الذي أقدم على الموت في سبيله أم زياني الذي يسكن قصره ويلازمه منذ عشر سنوات أم إنها مؤامرة قادمة لإزاحته؟ حتما لا يمكن الاستنتاج، بل من الصعب أن يتكهن أو يلقي التهم على شخص لم ير منه أي دليل، قاطع كان أو بسيط،

العيش برفاهية اليأس ضنكة مريحة مقلقة تعتريها لحظات أمل بين الحين والحين، لكن سطوة اليأس تقضي على تلك اللحظة، كانت تحاول تلك اللحظة بكامل جهدها أن تخترق جدار اليأس المتين لكن قوتها الغير كافية تمنعها من ذلك، تلك مشاعر جل الحمائميين على كافة الأصعدة، من القتلى وذويهم، الجرحى وأهليهم، الأيتام، الفقراء، المساكين، كل المظلومين، وبينما كانت الأفكار السيئة منها والجيدة قد أرهقته دون أن يصل لنتيجة تخلصه مما أصابه، وصل الحارس وطرق الباب الذي قطع

أفكار قدوس الذي كان شاردا بكل وعيه، فسمح له زياني بالدخول، أعطاه الصور ثم غادر، تمعن زياني بالصور وهو يسير متجها إلى قدوس، فقال : إنني أعرف ذلك الرجل، أنا على يقين من ذلك، لكنني نسيته، نسيت أين التقينا، فأخذ قدوس الصور مندهشا فقال بصوت منخفض : عبدالوهاب؟ .. ثم التقط عوينات زياني التي كانت على الطاولة، ووضعهن بعينيه ثم قال: إنه عبدالوهاب، أبو نعمان، الذي كان عضوا في الغرفة، وقتلنا أهله وتمت معاقبته بالنفي، أتذكره ؟ فقال زياني : نعم، لكنه يبدو عجوزا، لقد تغير كثيرا، ما الذي أعاده؟ وماذا كان يفعل خليل عنده؟، وضع قدوس يديه على رأسه وقال : كانت غلطتي، لم أقتله حينها، قلتنا عائلته لكننا لم نقتله، بدا الأمر واضحا، دخل إلى الغرفة ثانية لكن المرة الثانية كانت عن طريق خليل، كان قناصا ماهرا، أنا على يقين من أنه هو من قتل الحارسين، وفعل تلك الزعزعة حتى يجعلني أثق بخليل كي يتمكن من الوصول إلي، كان ذكيا منذ أن عرفته، لكنه مرة أخرى يفشل بمجابهتي، لكن كيف استطاع النيل من باشاوي وبهشراني وطبلشاني والأعرج والطالوت؟ كيف يعقل من أن يعود ذلك الذي كان ضعيفا منهوكا لهذه العودة التي أجهز علينا لو لا فطنتك يا زياني ؟ يبدو أنها نهايته، لنزوره يا زياني، فقال

زياني: أخشى من أن يكون كمينا ! رد قدوس : لا، سنزوره، لقد عاش أكثر من عمره،جهز السيارات واسلحتكم، ثم عاد لغرفته ولبس ملابسه وحمل معه الحربة السامة التي كان يحملها دائما، فنزلوا ومن ثم ركبوا بسياراتهم، واتجهوا إلى بيته، وبعد مرور نصف ساعة اتصلت بخليل السيدة أسينات التي كانت تجهل مؤامرة خليل على زوجها على الرغم من علاقتها الغرامية به، كانت شغوفة بحبه، وعرضت عليه الهروب لأكثر من مرة لكنه رفض، مارست معه العلاقات الغرامية لمرات عديدة دون علم أحد، رفع خليل سماعة الهاتف قائلا : نعم، وكعادته معها يوهم المتصل بأنه لا يعرفه خوفا من أن يكون قدوس فقال لها : من ؟ فأجابته بصوت التلكؤ، قائلة : أنا آسينات، خليل، لم أفهم الذي جرى بينهم، سوى أن قدوسا كان يقول بأن أبا نعمان قد أرسل خليلا للنيل مني نيابة عنه، ثم اتجهوا لمنزل هذا الشخص، أرجوك أهرب، وسنلتقي، وصلوا إلى بيت أبي نعمان فأمر قدوس حراسه بأن يحيطوا بالمنزل، وتسلح رفقة زياني وطرقوا الباب، كان أبو نعمان مندلسا بفراشه، قام من مكانه واتجه نحو الباب وقال : من هناك ؟ فرد زياني : نحن من دائرة الكهرباء، لم تسددوا فاتورة الكهرباء للأشهر الماضية يا حاج، ففتح أبو نعمان الباب فوقعت عينه بعين

قدوس مباشرة، فحدق ببعضهما لبرهة زمنية دون حراك من الطرفين، فعاد أبو نعمان وجلس بكرسيه تاركا الباب مفتوحا خلفه، ثم لحقاه قدوس وزياني، فقال أبو نعمان: قدوس اللعين وكلبه، لم أظن للحظة أننا سنلتقي مجددا، جلس قدوس وتنحنح قائلا: لقد خسرت مجددا يا وهاب، اعتقدت أنك مت، لم أدر أنك حي حتى قبل ساعة من الآن، تبدو أنك عشت أكثر من عمرك، فرد مقهقها فقال: سيقتلونك، صدقني أنها مسألة وقت، ليس مهما أن أعيش أنا، المهم هو أن يتم قتلك لعل الشعب يرتاح قليلا، فأنت اخترت لنفسك بأن تكون عميلا، خسيسا، دنيئا، عاهرا، كذابا، خداعا، مجرما، فعلا صوت أبي نعمان، فقام من مكانه قدوس وقطع كلامه بعدما ضربه بالحربة السامة عدة ضربات ببطنه فلوى كتفه وأرجع ظهره فاتكأ على كرسيه، ثم مسح قدوس الحربة بملابس أبي نعمان ثم غادروا المكان متجهين إلى المكتب، كان المكان يبعد عن البيت بحدود الساعة تقريبا، فزحمة السير وسط العاصمة قد تأخذ أكثر من ذلك، فسار خليل رفقة اورفان في الطريق الأقصر، لكنهم لم يلحقوا على أبي نعمان، نزلوا من سيارتهم مسلحين، فركضوا نحو الباب الذي كان مفتوحا، فدخلوا واحدا بعد الآخر، كان أبو نعمان يلفظ أنفاسه الأخيرة، فاحتضنه خليل وصار يبكي فوقه

ويقول : أنا اسف يا صديقي، أنا آسف يا أبي، لم أكن موجودا باللحظة التي احتجتني بها، أنا آسف يا أخي، كان اورفان مذعورا فركض يفتش عن قماش لترقيع الجروح، فجاء بقطعة قماش وهو يقول : لا، لن تموت، أرجوك، لم يتبق لي أحد إذا مت، من سيعيش معي، حتى أنت يا أبا نعمان تريد أن تتركني كما فعلوا أهلي؟ أرجوك لا تفعلها، فأجهشوا بالبكاء، فقال لهم أبو نعمان بلهجة تكاد تكون غير مفهومة : اقتلوه، اقتلوا قدو. . فلم يكمل كلامه فمات بمكانه، كانوا مذعورين غير مصدقين، ضربوه على وجهه لكنه لم يستجب، صاروا يبكون فوقه ويتوسلون به بكلمات توجع القلب لكن لا فائدة منها

وبعدما انتهت مراسيم النحيب فوقه، خرجوا متجهين نحو القصر، كان قدوس وزياني قد وصلا المكتب فسألا حراسه : أين خليل ؟ قال الحراس : سيعود بعد نصف ساعة، هكذا ابلغنا،

فدخلوا المكتب وجلسوا داخله، كان قبل أن يخرج أبلغ خليل حراسه بأن يبلغوا من يجيء إليه بعودته القريبة، كي يكسب المزيد من الوقت، كان يعلم بأن قدوسا سيمكث بمكتبه ظنا منه بأن خليلا سيعود إلى المكتب، فكان توجهه نحو القصر، فاتصل بـ أسينات وقال لها : اخرجي من القصر بسيارتك، أنا متجه إليك، كي نلتقي عند الدار الذي

كنا نلتقي به، كان ذلك الدار قريبا من القصر، كان يواعدها به، في الأوقات التي يتسنى له رؤيتها، فخرجت مسرعة وركبت سيارتها واتجهت إلى ذلك البيت الذي يبعد عن القصر خمس دقائق فقط، فوصلت إلى البيت، وبعد وصولها بعشر دقائق وصلا خليل و أورفان، فدخلوا إلى البيت مسرعين وأدخلوا سيارتهم بقرب سيارة السيدة أسينات بداخل البيت، استقبلته بلهفة واحتضنته والدموع تنسكب من عينيها، قائلة : لقد خفت عليك، خفت أن يقتلك ذلك المجرم، فهدأ من روعها وقال لها: الوقت يداهمنا، لا عليك، سنقتله ونرحل، سنعيش بسلام، لا تقلقي، ثم مسح دموعها وقال لها أريدك أن تصغي إلي، فهزت رأسها، ثم قال : لدي متفجرات بالسيارة، بإمكانها أن تنسف القصر ومن فيه، أريد أن أدخلها إلى القصر، خذي اورفان والمتفجرات بسيارتك، وانشروها على حافة القصر، يمينا وشمالا، شرقا وغربا، هل فهمتي؟ سيساعدك اورفان بهذه العملية، ثم خبئيه بمكان آمن داخل القصر، وعودي إلي، وبسرعة خيالية حملوا الألغام كلها من سيارتهم إلى سيارتها، وانطلقت سيارتها نحو القصر، كان قدوس قد تضجر من الانتظار فأخذ هاتفه واتصل على خليل، إذ قال: مرحبا، أين أنت؟ نحن بمكتبك؟ عد يا رجل فقد نال الانتظار من ضيوفك فقهقه

ضاحكا، فأجابه خليل : أهلا بالسيد، لا عليك، أنا في طريقي إليك، مسافة الطريق بيننا، فأغلق هاتفه، وصلت السيدة أسينات بسيارتها المظللة ففتحوا لها الباب، فدخلت إلى أرجاء القصر، فأخرجت اورفان الذي كان جالسا بالخلف، وبدأوا بنشر الألغام حول القصر، إذ يضعون لغما ويضعون الأخر بعده والمسافة بين اللغمين تقدرب10 أمتار تقريبا، أكملوا مهمتهم الأولى، بـ تلغيم القصر بأكمله وخبأت اورفان بداخل مخزن يقع داخل سياج القصر نحو الغرب، وهي غرفة التحكم بكاميرات المراقبة كان بعيدا عن الأنظار، ثم رجعت إلى سيارتها، فعادت إلى خليل، وصلت إليه ثم نزلت وأخبرته بأن كل شيء على ما يرام وفقا لما خططت له، فقال لها: حان دورك الآن، أنا ضد أي خائن، لقد كنت يوما ممن يخططون لقتل الناس، كنت زوجة طاغية ساهمتي في كثير من قراراته، فنزلت دموعها وجثت على ركبتيها، وقالت: ألم أساعدك في اعتقال الأعضاء؟ لقد أحببتك وأردت حقا أن نؤسس عائلة، فقاطعها قائلا : أصابتك لعنة الأبرياء يا مدام أسينات الخائنة، كنت مجرد وسيلة لأصل للغاية التي أريدها، وبالتالي الغاية تبرر الوسيلة، فأخرج مسدسه وأطلق الرصاص على رأسها وأرداها قتيلة، ثم غطى سيارتها بقطعة قماش، وأرسل لقدوس رسالة مفادها: وداعا

أيها المجرم، تخلصت منك للأبد، ولن نلتقي ثانية، زوجتك : أسينات، فأغلق هاتفه، استلم قدوس الرسالة ثم قرأها فصار يصرخ داخل المكتب، فدخلوا حراس المكتب مسرعين نحوه، فأطلق الرصاص عليهم جميعا وقتلهم، ثم كف عن الصراخ، هدأه زياني وقال له : ما بك ؟ فأعطاه الهاتف مذعورا، قرأ الرسالة مندهشا وقال : من هذا؟ لقد وصل إلى أعماق القصر بلحظات، يبدو أنه خطير، علينا الحذر، لنغادر، فغادروا المكتب متجهين نحو القصر، كان قدوس يعض على يديه ليلقى خليل، كان يرى سرابه بالشارع، فيوقف السيارة وينزل عليه وعندما يقترب من الشخص الذي يوقفه يجده غير شخص، فيعود للسيارة ثم يركب، وقبل أن يصل القصر بلحظات قليلة، وصلته رسالة من خليل ، يقول فيها : سنلتقي في القصر ليلا عند الساعة التاسعة، فزاد قلقه وخوفه من جرأة ذلك الشاب الذي زلزل عرش الطاغية، فقال لنفسه : لنرى كيف ستكون نهايتك يا وغد، كان خليل حزينا، لم يكن متوقعا أن يموت أبو نعمان بهذه السهولة، وبهذه البشاعة، ركب سيارته الجديدة التي كانت مركونة بالبيت الذي كان يلتقي بالسيدة أسينات به، واتجه نحو بيت أبي نعمان، كان يقود السيارة ودموعه تنسكب بغزارة، كل الدموع لا تكفي لأن ترثي عزيزا، وصل إلى البيت، كان أبو نعمان مازال

على هيئته، فحمله على كتفه ونقله إلى السيارة، وذهب به إلى المقبرة، وقضى ثلاث ساعات فيها، استأجر حفارا هيأ له قبرا وفقا للتقاليد القمرية التي ينتمي لها، ثم دفنه بعد ذلك، فاتصل بـ اورفان الذي استقر بغرفة التحكم بكاميرات القصر، بعدما قتل الموظف المسؤول على التحكم، وأبلغه بأن يجعل توقيت انفجار القنابل بالساعة العاشرة؛ لأن لديه اجتماع معهم بالتاسعة داخل القصر، رفض اورفان تلك الخطة الخطرة لكن خليلا أصر على ذلك، خوفا من أن القنابل لا تقتله، هي ستؤذي القصر وربما ستنسفه نسفا، لكنه قصر كبير، والنجاة فيه ممكنة، لذلك فقد أصر على أن يجابهه لعله ينال منه، كان قدوس يجهز خطته للنيل منه تماما، دون أن يحدث أي خطر على من في القصر، فتولى زياني زمام المهمة، فاتفقوا على أن يقبضوا عليه دون أذى ثم يتحرون عن الأعضاء في حال إذا تم إطلاق سراحهم فإنهم سيتركونه، وحينما يدلهم على أقرانهم يقتلونه، وعند حلول المساء، واقتراب موعد النهاية، النهاية الحتمية للاثنين، أو ربما للأقوى، عاد خليل لبيت أبي نعمان، كان في نهاية البيت حماما، بداخله فتحة تؤدي إلى السرداب الكامن خلف البيت، كان السرداب مجهزا بالطاقة الكهربائية وجميع الخدمات، لكن الأعضاء كانوا مكبلين من أيديهم ومن أقدامهم، فتح خليل تلك الفتحة، نزل إلى

داخل السرداب، كان على اليمين باشاوي وبجانبه طبلشاني، بينما كان على اليسار الأعرج وبهشراني، كان يكره الطالوت أكثر منهم جميعا، أكثر حتى من قدوس، فدخل إلى غرفة مظلمة موحشة، كانت من نصيب الطالوت، فقال لهم: اليوم جاءت نهايتكم، لقد خربتم البلاد، وقتلتم شعبه، لكن حتما لكل بداية نهاية، بدايتكم اللعينة حان وقت انهائها، واقتلاع جذورها، وحرق الجذور..

فرش البنزين على الطالوت، وأحرقه، ثم جاءهم من جهة باشاوي الذي كان يبكي ويتوسل فقام برش البنزين عليهم، فأوقد النار، كانت مجزرة، كان صراخهم يشبه صراخ الأبرياء الذين يحترقون بالمفخخات فصارت أجسادهم مهترئة فغادر البيت،واتجه نحو قدوس، كان الجميع حذرا منه، نزل فتم تفتيشه ومثل أول لقاء لهما كان قدوس على الشرفة، لكنه لم يهز برأسه هذه المرأة، فصعد إليهم واستقر بمجلسه، كان زياني جالسا لوحده، لم يبد له أي أهمية،لحظات حتى دخل قدوس إلى الغرفة، فشق كلامه ماشيا إذ قال : لماذا خنتني؟ أجابه خليل ببرود : لأنك خنت البلد بأكملها يا عميل، فماذا تنتظر مني أن أقدم لك؟ وردة مثلا؟

قال قدوس : كيف تخلصت من باشاوي؟ أجابه خليل : الأمر واضح، قبل ذهابنا لاجتماع الفرسان بيوم، دعوته لبيتي كي نحتسي الخمر،

وأخبرته أن لا يكثف حراسه، فلدي الكثير، وعندما حضر شربنا حتى الثمالة، قتلت حراسه الأربعة وعندما أفاق من سكرته وجد نفسه داخل السرداب، قطب قدوس حاجبيه وقال: لم تقتله بعد؟ قال: لا، لم أقتله بعد، كانت طبيعة قدوس هو أن يشعل المزيد من السجائر تعبيرا منه على الغضب، ثم قال له : ماذا عن بهشراني ؟

فرد قائلا: الأبله كان فريسة سهلة، كنت قد أردت أن يكون هناك اجتماعا بعد عودتنا من اجتماع الفرسان، لكنه تأجل بعدما تعرضنا لحادث أنا سببه، أرسلت له رسالة نصية بأننا سندخل الاجتماع وعليه الإسراع قليلا، كان أبو نعمان قد وثب قناصه، من المعروف أن بهشراني يأتي مع حارسين فقط، تخلص منهما ذلك القناص الشريف، واعتقل بهشراني كي يسلي باشاوي بسجنه، اشتاط قدوس نارا وغضبا، فقال ماذا عن الطبلشاني والأعرج اللذين لم يكونا أبلهين البتة؟ فقال: كان يوم ميلاد السيدة مدام أسينات التي كنت على علاقة بها، علاقة حب لكنها لم تستمر، أبلغتني بالتوقيت الذي كانا سيتواجدان فيه الأعرج وطبلشاني رفقة زوجاتهم اللعينات كزوجتك، فكانت مهمة أبي نعمان هي القبض على العملاء أمثالكم، فكانت أسينات تتصل بهم ثم تتصل بي وتعلمني بموقعهم وكلما أتوه اتصل بها،حتى وجدت الفرصة

المناسبة لقناصي العظيم الذي كان يصيب قائد القطيع فيتشتت القطيع بأكمله، صوب نحو السائق الذي يقلهما، فأرداه قتيلا، ثم بدأنا بإطلاق الرصاص على جميع من في السيارة باستثناء المقعد الخلفي اللذان كانا يتواجدان فيه الزعيمان المزعومان فاصطحبتهما إلى صديقيهما كي تكون الغرفة تحت سرداب، بدلا من العلن، وتم قتل زوجاتهما فقهقه ضاحكا، كان زياني مستعدا للإطلاق، وكلما أراد أن يمد يده نحو سلاحه اومأ إليه قدوس بالعزوف، كان بداخل قدوس أملا أن يسترد أعضاءه، مقابل أن يفاوضه، قام قدوس من مكانه وصار يتمشى داخل أرجاء الغرفة وقال : كيف قتلت الطالوت؟ هل تدرك كم هو قوي؟ كان على الطاولة علبة سجائر قدوس، التقطها ثم أخذ سيجارة وأشعلها ثم أجاب : استغليت رحلته الشاقة إلى المحافظة الكبرى ، كنت قد استأجرت بيتاً بالقرب منه قبل شهرين، فقد عرفت كل خباياه وتحركاته، وعندما أخبرتنا بالعملية التي كلفته بها كنت أود قتله قبل أن يفعلها، لكن محاولتي باءت بالفشل، لكنني طبختها على قدم وساق، فحينما عادوا كانوا ثملين ومنهكين، حيث دخل عليهم أبو نعمان بكاتم الصوت وقتل جميع حراسه وتمكن من الوصول إليه وهو نائم، فخدره وجمع جثث حراسه وحشرها بالحمام وأغلقه ثم اصطحب طالوتكم هذا

إلى أصحابه لتكتمل الدائرة، وحينما علمتم بأني أنتمي لأبي نعمان أبلغتني حبيبتي أسينات بالخبر ودعوتها لبيتنا الذي كنا نمارس الحب فيه وقتلتها، فقام قدوس من مكانه راكضا وضربه بحربته السامة على بطنه، وراح يكسر كل شيء من حوله، كان خليل يتأذى، ضربة أشبه بالقاضية، فصار ينزف بغزارة، وعيناه قد تغيرتا، صار يتنفس بضيق، وحينما تبقى 30 دقيقة على انفجار القصر، خرج اورفان من مضجعه حاملا بيده حبلا ومسدسا وقنينة بنزين صغيرة، وتوغل من الباب الخلفي الذي تركت أسينات له مفتاحا احتياطيا، وأعلمته بمكان الاجتماعات، كان قدوس يسأل خليلا : أخبرني عن مكان تواجد الأعضاء وسأبقيك حيا، وهذا زياني يشهد على كلامي، فضحك خليل بصعوبة بالغة وقال : لستما إلا خائنين لقيطين معتوهين، نحن يا سيد قدوس نحب الوطن أكثر من أنفسنا، وهؤلاء الذين تحدثني عنهم قد عاثوا بالبلاد فسادا وأنت على رأسهم، فإن لم أقتلك فسيقتلك غيري من الأشراف،

دفع اورفان الباب بقدمه ودخل مسرعا نحو القاعة فأطلق الرصاص نحو زياني فأرداه قتيلا، فارتبك قدوس الذي لم يكن يحمل معه سوى حربة سامة، وسلاحه الشخصي يبعد عنه بمسافة ليست بالقليلة، تلعثم

قدوس وقال: اهدأ، اهدأ هل تريد المال؟ ها، حسنا، سأعطيك، كم تريد ؟ مليون دولار؟ مليونين ؟ ثلاثة؟ حسنا، لك ما تريد، فقال خليل له: اقتله يا اورفان، هذا الذي قتل والدتك، وهو نفسه الذي قتل أخيك، ماذا تنتظر؟ كان يضغط على جرحه ويتكلم ببطء، ويقول له الذي كان يفكر بموتة تشفي غليله، فالرصاص لا يشفي الغليل، : اقتله يا أخي، فأطلق النار على أقدامه، فسقط قدوس على الأرض، ثم راح يبحث عن لاصق، فوجده بإحدى جرارات طاولة المكتب، فربطه بعنق قدوس، ثم كبل يديه وربط الحبل بالشباك، كان يتوسل به، ذلك الذي تجبر وطغى كان يبكي متوسلا فأغلق فمه باللاصق، ورش عليه البنزين ورماه من الشباك، ثم أخرج من جيبه علبة كبريت وأشعل منها عوداً وأسقطه من الشباك فنزل العود متشقلباً وكان قدوس رافعاً رأسه للأعلى وعيناه محدقتان نحو الشباك ولم يدر إلا وقد ارتطم عود الثقاب بين عينيه فالتهمته النار وبدأ يصدر منه صوت الأنين والألم وما هي إلا لحظات صغيرة حتى انقطع الحبل وسقط مرتطماً بالأرض وبقيت النار تلتهم بجسده الفاسد حتى حولته إلى فتات، لقد أعدمه شنقا محترقا كما يعدم الأبرياء،، لم يتبق على انفجار القصر سوى أقل من خمسة عشر دقيقة، كان خليل قد تسمم جسده لكنه لم يزل مقاوما، فساعده على

النهوض ثم نزل به من على السلم، كان الجو طبيعيا، ثم عاد من مكان دخوله وصولا إلى الباب الخلفي، كانت تتواجد سيارة زياني فبينما كانا يسيران نحوها خرج أحد الحراس فأطلق النار على اورفان بغتة، فسقط اورفان وأخذ خليل السلاح وقتل الحارس، وبعد سقوطه تبعه خليل، كانوا مبتسمين، قال خليل مشجعا صديقه وبلهجة بطيئة: لقد فعلناها يا صديقي وقتلناه، ثم أجهش باكيا وهو يقول: الآن ستلتقي بأهلك، هل أنت مستعد للقاء أهلك؟ فأكمل كلامه باكيا إذ يقول: لقد تحررنا من الدنيا، لن تكون هناك مزيدا من الخسائر، لن تسمع صوت الرصاص، سيكون الانفجار القادم هو آخر انفجار ستسمعه، أما كنت تتمنى هذه الأقدار؟ كنت تقول لي: لا أريد سماع صوت الرصاص، حسنا، لن نسمعه ثانية، اورفان، اورفان، هل تسمعني؟ هل ستستضيفونني عندكم هناك ؟ بين عائلتك؟ خمن معي كيف سيكون شكل بيتكم ؟ فتبسم اورفان بسمة حزينة وفتح عينيه قائلا: أنا سعيد لأني سأغادر الدنيا، سعيد جدا، ستعيش معنا، سترى أن أمي هي أجمل أم في العالم، أنا مشتاق لها، لأبي، لأخي، لم أعد أطيق عذاب فراقهم. ثم صمت، كان خليل قد تآكل ولم يستطع حتى أن يلفظ أنفاسه فتقيء قيحا، ثم نام على صدر اورفان وماتا، نعم، ماتا للأبد، لقد شفيا من

آلامهما، ساد الصمت للحظات، ثم انفجر القصر ونسف نسفا، لتنتهي حكاية مشتل الدم ذلك الكتاب الذي فتك ببلاد كاملة وشتتها.

الإهداء

لأمي، لأبي الذي فقدته بسبب ويلات الحروب للفقراء جميعا، والمساكين والأيتام، كل الأيتام في الأرض.

وآخر قولي أن الحمد لله الذي بفضله وامتنانه تمت هذه الأحرف والكلمات

إبراهيم النايف

8 /8 /2019

حقوق النشر والتوزيع محفوظة

ببلومانيا للنشر والتوزيع